الباب الرابع

من أبواب هذا الكتاب
في بيانِ الفِرَقِ التي انتسبت إلى الإسلام وليست منها

الكلام في هذا الباب يدور على اختلاف المتكلمين فيمن يعدُّ من أمة الإسلام وملته، وقد ذكرنا قبل هذا أن بعض الناس زعم أن اسم ملة الإسلام واقع على كل مُقِر بنبوة محمد ﷺ وأن كل ما جاء به حق كائناً قوله بعد ذلك ما كان، وهذا اختيار الكعبي في مقالاته، وزعمت الكرامية أن اسم أمة الإسلام واقع على كل من قال: لا إله إلا اللَّه محمد رسول اللَّه، سواء أخلص في ذلك أو اعتقد خلافه، وهذان الفريقان يلزمهما إدخال العيسوية من اليهودية، والموشكانية منهم في ملة الإسلام، لأنهم يقولون لا إلٰهَ إلا اللَّه محمد رسول اللَّه، ويزعمون أن محمداً كان مبعوثاً إلى العرب، وقد أقَرُّوا بأن ما جاء به حق.

وقال بعض الفقهاء أهل الحديث: إسم أمة الإسلام واقع على كل من اعتقد وجوب الصلوات الخمس إلى الكعبة.

وهذا غيرُ صحيح، لأن أكثر المرتدِّينَ الذين ارتدوا بإسقاط الزكاة في عهد الصحابة كانوا يَرَوْنَ وجوب الصلاة إلى الكعبة، وإنما ارتدوا بإسقاط وجوب الزكاة، وهم المرتدون من بني كندة وتميم.

فأما المرتدون من بني حنيفة وبني أسد فإنهم كفروا من وجهين:

أحدهما: إسقاط وجوب الزكاة.

والثاني: دعواهم نبوة مُسَيْلمة، وطُلَيْحة. وأسقط بنو حنيفة وجوب صلاة الصبح، وصلاة المغرب، فازدادوا كفراً على كفر.

والصحيح عندنا أن اسم ملة الإسلام واقع على كل من أقر بحدوث العالم، وتوحيد صانعه، وقِدَمِه، وأنه عادل حكيم، مع نفي التشبيه والتعطيل عنه، وأقر ـ مع ذلك ـ بنبوة جميع أنبيائه، وبصحة نبوة محمد ﷺ ورسالته إلى الكافة، وبتأبيد شريعته، وبأن كل ما جاء به حق، وبأن القرآن مَنْبَع أحكام شريعته، وبوجوب الصلوات الخمس إلى الكعبة، وبوجوب الزكاة، وصَوْم رمضان، وحَجّ البيت على الجملة؛ فكل من أقر بذلك فهو داخل في أهل ملة الإسلام، وينظر فيه بعد ذلك، فإن لم يخلط إيمانه ببدعة شنعاء تؤدِّي إلى الكفر فهو الموحِّدُ السني، وإن ضم إلى ذلك بدعة شنعاء نُظر: فإن كان على بدعة الباطنية، أو البيانية، أو المغيرية، أو المنصورية، أو الجناحية، أو السَّبَئِيَّة، أو الخطَّابية من الرافضة، أو كان على دين الحلولية، أو على دين أصحاب التناسخ، أو على دين الميمونية أو اليزيدية من الخوارج، أو على دين الخابطية أو الحمارية من القدرية، أو كان ممن يحرم شيئاً ممن نص القرآن على إباحته باسمه، أو أباح ما حَرَّم القرآن باسمه، فليس هو من جملة أمة الإسلام، وإن كانت بدعته من جنس بدع الرفضة الزَّيْدية، أو الرافضة الإمامية، أو من جنس بدع أكثر الخوارج، أو من جنس بدع المعتزلة، أو من جنس بدع النَّجَّارية، أو الجَهْمية، أو الضِّرارية، أو المجسِّمة من الأمة كان من جملة أمة الإسلام في بعض الأحكام، وهو أن يدفن في مقابر المسلمين، ويُدْفَع إليه سَهْمُه من الغنيمة إن غَزَا مع المسلمين، ولا يمنع من دخول مساجد المسلمين ومن الصلاة فيها، ويخرج في بعض الأحكام عن حكم أمة الإسلام، وذلك أنه لا تجوز الصلاة عليه، ولا الصلاة خَلْفه، ولا تحلُّ ذبيحته، ولا تحل المرأة منهم للسني، ولا يصح نكاح السنية من أحد منهم.

والفرق المنتسبة إلى الإسلام في الظاهر مع خروجها عن جملة الأمة عشرون فرقة هذه ترجمتها:

سَبَئِيّة، وبيانية، وحربية، ومغيرية، ومنصورية، وجناحية، وخَطَّابية، وغُرَابية، ومفوضية، وحلولية، وأصحاب التناسخ، وخابطية، وحمارية، ومُقَنَّعية،

ورزَامية، ويزيدية، وميمونية، وباطنية، وحَلاَّجية، وعذافرية، وأصحاب إباحة، وربما انشعبت الفرقة الواحدة من هذه الفرق أصنافاً كثيرة نذكرها على التفصيل في فصول مرتبة إن شاء اللَّه عز وجل.

الفصل الأول
من فصول هذا الباب

في ذكر قول السّبئيّة، وبيان خروجها عن ملة الإسلام

السبئيّة: أتباع عبد اللَّه بن سَبَأ الذي غَلاَ في علي رضي اللَّه عنه وزعم أنه كان نبياً، ثم غلا فيه حتى زعم أنه إلٰه، ودعا إلى ذلك قوماً من غُوَاة الكوفة، ورُفع خبرهم إلى علي رضي اللَّه عنه فأمر بإحراق قوم منهم في حفرتين، حتى قال بعض الشعراء في ذلك:

لِتَـرْمِ بـيَ الحـوادثُ حيـث شَـاءَتْ إذَا لَـمْ تَـرْمِ بِـي فِـي الحُفْـرَتَيْـنِ

ثم إن علياً رضي اللَّه عنه خاف من إحراق الباقين منهم شماتَةَ أهل الشام، وخاف اختلاف أصحابه عليه، فنفى ابن سبأ إلى ساباط المدائن، فلما قُتل علي رضي اللَّه عنه زعم ابنُ سَبَأ أن المقتول لم يكن علياً، وإنما كان شيطاناً تصوَّر للناس في صورة علي، وأن علياً صعد إلى السماء كما صَعد إليها عيسى ابنُ مريم عليه السلام، وقال: كما كذبت اليهودُ والنصارى في دعواها قتل عيسى كذلك كذبت النواصبُ والخوارجُ في دعواها قتل علي، وإنما رأت اليهود والنصارى شخصاً مَصْلوباً شبهوه بعيسى، كذلك القائلون بقتل علي رأوا قتيلاً يشبه علياً فظنوا أنه علي، وعليٌّ قد صعد إلى السماء، وأنه سينزل إلى الدنيا وينتقم من أعدائه.

وزعم بعض السبئيّة أن علياً في السحاب، وأن الرعد صَوْته، والبرق سوطه، ومن سمع من هؤلاء صوت الرعد قال: عليك السلام يا أمير المؤمنين.

وقد روي عن عامر بن شراحيل الشعبي[1] أن ابن سبأ قيل له: إن علياً قد قتل، فقال: إن جئتمونا بدماغه في صرة لم نصدق بموته، لا يموت حتى ينزل من السماء ويملك الأرض بحذافيرها.

وهذه الطائفة تزعم أن المهديَّ المنتظَرَ إنما هو عليٌّ دون غيره، وفي هذه الطائفة قال إسحاق بن سُوَيْد العَدَوِيُّ قصيدةً برىء فيها من الخوارج، والروافض، والقَدَرية منها، هذه الأبيات:

برئْتُ من الخوارج لَسْتُ منهم ... من الغَزَّال منهم وابن بَابِ
ومن قومٍ إذا ذكَرُوا عَلِيّاً ... يَرُدُّونَ السَّلاَمَ عَلَى السَّحَابِ
ولكني أحِبُّ بكُلِّ قَلْبي ... وأعْلَمُ أنَّ ذَاكَ مِنَ الصَّوَابِ
رَسُولَ اللَّه وَالصِّدِّيقَ حُبّاً ... بِه أرْجُو غَداً حُسْنَ الثَّوَابِ

وقد ذكر الشعبيُّ أن عبد اللَّه بن السَّوْدَاء[2] وكان يعين السبئيّة على قولها،

(١) الإمام الحبر العلامة أبو عمرو عامر بن شراحيل بن معبد الشعبي، وهو من حمير، وعداده في همدان، ونسب إلى جبل باليمن نزله حسان بن عمرو الحميري هو وولده ودفن فيه، فمن كان منهم بالكوفة قيل لهم شعبيون، ومن كان منهم بمصر والمغرب قيل لهم الأشعبون والأشعوب، ومن كان منهم بالشام قيل لهم شعبانيون، ومن كان منهم باليمن قيل لهم آل ذي شعبين، وكان نحيفاً ضئيلاً، وقيل له: ما لنا نراك ضئيلاً؟ قال: إني زوحمت في الرحم، وكان ولد هو وأخ له في بطن واحد، وقيل لأبي إسحاق: أنت أكبر أم الشعبي؟ فقال: هو أكبر مني بستين. حدثنا الرياشي عن الأصمعي أن أم الشعبي كانت من سبي جلولاء. قال: وهي قرية بناحية فارس وكان مولده لست سنين مضت من خلافة عثمان، وكان كاتب عبد اللَّه بن مطيع العدوي، وكاتب عبد اللَّه بن يزيد الخطمي عامل ابن الزبير على الكوفة، وكان مزاحاً، حدثني أبو مرزوق عن جابر بن الصلت الطائي عن سعيد بن عثمان قال: قال الشعبي لخياط مَرَّ به: عندنا حب مكسور تخيطه؟ فقال له: نعم، إن كان عندك خيط من ريح.
وحدثني بهذا الإسناد أن رجلاً دخل عليه ومعه في البيت امرأة فقال: أيكما الشعبي؟ فقال: هذه، قاله ابن قتيبة.
توفي سنة أربع ومائة وله بضع وثمانون سنة. (انظر شذرات الذهب ١/١٢٦).
(٢) نعت ابن سبأ.

وكان ابن السوداء في الأصل يهودياً من أهل الحِيرَة فأظهر الإسلام، وأراد أن يكون له عند أهل الكوفة سُوقٌ ورئاسة، فذكر لهم أنه وَجَدَ في التوراة أن لكل نبي وصياً، وأن علياً رضي اللَّه عنه وصيُّ محمدٍ ﷺ، وأنه خَيْرُ الأوصياء كما أن محمداً خير الأنبياء، فلما سمع ذلك منه شيعة علي قالوا لعلي: إنه من مُحِبِّيك، فرفع عليٌّ قدره، وأجلسه تحت درجة منبره. ثم بلغه غُلُوُّه فيه فهمَّ بقتله، فنهاه ابنُ عباس عن ذلك وقال له: إن قتلته اختلف عليك أصحابكَ، وأنت عازم على العَوْد إلى قتال أهل الشام، وتحتاج إلى مُدَاراة أصحابك، فلما خشي من قتله ومن قتل ابن سبأ الفتنَةَ التي خافها ابنُ عباس نفاهما إلى المدائن، فافْتَتَنَ بهما الرعاع[1] بعد قتل علي رضي اللَّه عنه، وقال لهم ابن السوداء: واللَّه لينبعن لعلي في مسجد الكوفة عَيْنَان تفيض إحداهما عَسَلاً والأخرى سَمْناً، ويغترف منهما شيعته.

وقال المحققون من أهل السنة: إن ابن السوداء كان على هَوَى دين اليهود، وأراد أن يفسد على المسلمين دينهم بتأويلاته في علي وأولاده لكي يعتقدوا فيه ما اعتقدت النصارى في عيسى عليه السلام، فانتسب إلى الرافضة السَّبئيَّة حين وَجَدَهم أعْرَقَ أهل الأهواءِ في الكفر، ودَلَّسَ ضلاَلَتَهُ في تأويلاته.

قال عبد القاهر: كيف يكون من فِرَقِ الإسلام قومٌ يزعمون أن علياً كان إلٰهاً أو نبياً؟ ولئن جاز إدخالُ هؤلاء في جمله فِرَق الإسلام جاز إدخال الذين ادعوا نبوة مُسَيلمة الكذاب في فرق الإسلام، قلنا للسَّبئيَّة: إن كان مقتول عبدِ الرحمٰن بن مُلْجَم شيطاناً تصوَّر للناس في صورة علي فلم لعنتم ابن مُلْجَم؟ وهلا مَدَحْتموه؛ فإنَّ قاتل الشيطانِ محمود على فعله غير مذموم به، وقلنا لهم: كيف تصحُّ دعواكم أن الرعد صوت علي، والبرق سوطه، وقد كان صوتُ الرعد مسموعاً، والبرق محسوساً في زمن الفلاسفة قبل زمان الإسلام؟ ولهذا ذكروا الرعد والبرق في كتبهم، واختلفوا في علتهما، ويقال لابن السوداء: ليس عَلِيٌّ عندك وعند الذين تميل إليهم من اليهود أعظم رتبة من موسى، وهارون، ويوشع بن نون، وقد صحَّ موتُ هؤلاء الثلاثة، ولم

(١) أي الغوغاء.

ينبع لهم في الأرض عسل ولا سمن سوى نبوع الماء العذب من الحجَرِ الصَّلْد لموسى وقومه في التِّيه، فما الذي عَصَم علياً من الموت؟ وقد مات ابنه الحسين وأصحابه بكربلاء عطشاً ولم ينبع لهم ماءً فضلاً عن عسل وسمن؟

الفصل الثاني
من فصول هذا الباب

في ذكر البيَانية من الغُلاَة، وبيان خروجها عن فرق الإسلام

هؤلاء أتباع بيَان بن سمعان التميمي، وهم الذين زعموا أن الإمامة صارت من محمد ابن الحنفية إلى ابنه أبي هاشم عبد اللَّه بن محمد، ثم صارت من أبي هاشم إلى بيَان بن سمعان بوصيته إليه.

واختلف هؤلاء في بيَانٍ زعيمِهم.

فمنهم: من زعم أنه كان نبياً، وأنه نسخ بعض شريعة محمد ﷺ.

ومنهم: من زعم أنه كان إلٰهاً، وذكر هؤلاء أن بياناً قال لهم: إن رُوحَ الإلٰهِ تناسخت في الأنبياء والأئمة حتى صارت إلى أبي هاشم عبد اللَّه بن محمد بن الحنفية، ثم انتقلت إليه منه ـ يعني نفسه ـ فادعى لنفسه الربوبية على مذاهب الحلولية، وزعم أيضاً أنه هو المذكور في القرآن في قوله: ﴿هٰذَا بَيَانٌ لِلنَّاسِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةٌ لِلْمُتَّقِينَ﴾[1] وقال: أنا البيان، وأنا الهدى والموعظة.

وكان يزعم أنه يعرف الاسم الأعظم، وأنه يهزم به العساكر، وأنه يدعو به الزهرة فتجيبه.

ثم إنه زعم أن الإلٰهَ الأزلي رجل من نور، وأنه يَفْنَى كلُّه غير وجهه، وأول على زعمه قوله: ﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ لَهُ الْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾[2] وقوله: ﴿كُلُّ مَنْ

(١) سورة آل عمران، الآية: ١٣٨.

(٢) سورة القصص، الآية: ٨٨.

عَلَيْهَا فَانٍ، وَيَبْقَى وَجْهُ رَبِّكَ﴾[1].

ورُفع خبرُ بيانٍ هذا إلى خالد بن عبد اللَّه القَسْرِيِّ[2] في زمان ولايته في العراق. فاحتال على بيان حتى ظفر به وصلبه، وقال له: إن كنتَ تهزم الجيوش بالاسم الذي تعرفه فاهزم به أعواني عنك.

وهذه الفرقة خارجة عن جميع فِرَقِ الإسلام، لدعواها إلٰهية زعيمها بيانٍ، كما خرج عابدو الأصنام عن فِرَقِ الإسلام، ومَنْ زعم منهم أن بياناً كان نبياً فهو كمن زعم أن مسيلمة كان نبياً، وكلا الفريقين خارجان عن فرق الإسلام، ويقال للبيانية: إذا جاز فَنَاء بعض الإلٰه فما المانع من فناء وجهه؟ فأما قوله: ﴿**كلُّ شيء هالِكٌ إلَّا وَجْهه**﴾[3] فمعناه راجع إلى بطلان كل عمل لم يقصد به وجه اللَّه عز وجل، وقوله ﴿**ويبقى**﴾ معناه: ويبقى ربك؛ لأنه قال بعده ﴿**ذو الجلال والإكرام**﴾ بالرفع على البدل من الوجه. ولو كان الوجه مضافاً إلى الرب لقال ذي الجلال، بخفض ذي، لأن نعت المخفوض يكون مخفوضاً، وهذا واضح في نفسه والحمد للَّه.

---

(١) سورة الرحمٰن، الآيتان: ٢٦، ٢٧.

(٢) خالد بن عبد اللَّه القسري الدمشقي الأمير، كان جواداً ممدحاً خطيباً مفوهاً، خطب بواسط يوم أضحى، وكان ممن حضره الجعد بن درهم، فقال خالد في خطبته: الحمد للَّه الذي اتخذ إبراهيم خليلاً وموسى كليماً، فقال الجعد وهو بجانب المنبر: لم يتخذ اللَّه إبراهيم خليلاً ولا موسى كليماً ولكن من ورا ورا، فلما أكمل خالد خطبته قال: يا أيها الناس: ضحوا قبل اللَّه ضحاياكم فإني مُضَحٍّ بالجعد بن درهم فإنه زعم أن اللَّه لم يتخذ إبراهيم خليلاً ولا موسى كليماً، في كلام طويل، ثم نزل فذبحه في أسفل المنبر، فللَّه ما أعظمها وأقبلها من أضحيته، والجعد هذا من أول من نفى الصفات، وعنه انتشرت مقالة الجهمية، إذ ممن حذا حذوه في ذلك الجهم بن صفوان عاملهما اللَّه تعالى بعدله.
قال الذهبي في المغني: الجعد بن درهم ضال مضل، زعم أن اللَّه تعالى لم يتخذ إبراهيم خليلاً، تعالى اللَّه عما يقول الجعد علواً كبيراً. وقال فيه أيضاً: خالد بن عبد اللَّه القسري عن أبيه عن جده صدوق، لكنه ناصبي جلد.
هلك تحت العذاب سنة ست وعشرين ومائة وله ستون سنة (انظر شذرات الذهب ١/ ١٦٩).

(٣) سورة القصص، الآية: ٨٨.

الفصل الثالث

في ذكر المغيرية من الغُلاَة، وبيان خروجها عن جملة فِرَقِ الإسلام

هؤلاء أتباع المغيرة بن سعيد العجلي، وكان يُظْهر في بَدْء أمره موالاة الإمامية، ويزعم أن الإمامة بعد علي والحسن والحسين إلى سِبْطِهِ محمد بن عبد اللَّه بن الحسن بن علي، وزعم أنه هو المهديُّ المنتظر، واستدل على ذلك بالخبر الذي ذكر أن اسم المهديِّ يوافق اسمَ النبي ﷺ، واسمُ أبيه يوافق اسمَ أبي النبي عليه السلام، وتبعته الرافضة على دعوته إياهم إلى انتظار محمد بن عبد اللَّه بن الحسن بن الحسن بن علي.

ثم إنه أظهر لهم ـ بعد رئاسته عليهم ـ نوعاً من الكفر الصريح.

منها: دعواه النبوة، ودعواه علمه بالاسم الأعظم، وزعم أنه يُحْيي به الموتى ويهزم به الجيوش.

ومنها: إفراطه في التشبيه، وذلك أنه زعم أن معبوده رجلٌ من نور، وله أعضاء وقلب ينبع منه الحكمة.

وزعم أيضاً: أن أعضاءه على صُوَر حروف الهجاء، وأن الألف منها مثال قدميه، والعين على صورة عينه، وشبه الهاء بالفرج.

ومنها: أنه تكلم في بَدْء الخلق، فزعم أن اللَّه تعالى لما أراد أن يخلق العالم تكلم باسمه الأعظم، فطار ذلك الاسم، ووقَعَ تاجًا على رأسه، وتأول على ذلك قوله: ﴿سَبِّحِ ٱسْمَ رَبِّكَ الأَعْلَى﴾[1] وزعم أن الاسم الأعلى إنما هو ذلك التاج، ثم إنه بعد وُقُوع التاج على رأسه كتَبَ بأصبعه على كفه أعمالَ عباده، ثم نظر فيها فغضب من معاصيهم، فَعَرِقَ، فاجتمع من عَرَقِه بَحْرَان، أحدهما: مظلم مالح، والآخر: عَذْب نَيِّر، ثم اطَّلع في البحر فأبصر ظله، فذهب ليأخذه فطار، فانتزع عَيْنَيْ ظله، فخلق منهما الشمس والقمر، وأفنى باقِي ظله، وقال: لا ينبغي أن يكون معي

---

(١) سورة الأعلى، الآية: ١.

إلٰهٌ غيري، ثم خلق الخلق من البحرين، فخلق الشيعة من البحر العذب النير فهم المؤمنون، وخلق الكَفَرَة ـ وهم أعداء الشيعة ـ من البحر المظلم المالح.

وزعم أيضاً أن اللّه تعالى خَلَق الناس قبل أجسادهم، فكان أول ما خلق فيها ظلّ محمد، قال: فذلك قوله: ﴿قُلْ إِنْ كَانَ لِلرَّحْمٰنِ وَلَد فأنَا أَوَّلُ الْعَابِدِين﴾[1] قال: ثم أرسل ظل محمد إلى أظلال الناس، ثم عرض على السموات والجبال أن يَمْنَعْنَ عليَّ بن أبي طالب من ظالميه، فأبَيْنَ ذلك، فعرض ذلك على الناس، فأمر عمرُ أبا بكر أن يتحمل نصرة علي ومَنْعه من أعدائه، وأن يَغْدِرَ به في الدنيا، وضمن له أن يُعِينه على الغدر به على شرط أن يجعل له الخلافة بعده، ففعل أبو بكر ذلك، قال: فذلك تأويل قوله: ﴿إِنَّا عَرَضْنَا الأَمَانَةَ عَلَى السَّمٰوَاتِ وَالأَرْضِ وَالجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَنْ يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الإنسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولاً﴾[2] فزعم أن الظلوم والجهول أبو بكر، وتأوَّل في عمر قول اللّه تعالى: ﴿كَمَثَلِ الشَّيْطَانِ إِذْ قَالَ لِلإِنْسَانِ اكْفُرْ فَلَمَّا كَفَرَ قال إني بَرِيءٌ مِنْكَ﴾[3] والشيطان عنده عمر.

وكان المغيرة ـ مع ضلالاته التي حكيناها عنه ـ يأمر أصحابه بانتظار محمد ابن عبد اللّه بن الحسين بن الحسن بن علي، وسَمعَ خالدُ بن عبد اللّه القَشْرِي بخبره وضلالاته فطلبه، فلما قتل المغيرة بقي اتباعه على انتظار محمد بن عبد اللّه بن الحسين بن الحسن فلما أظهر محمد هذا دعوته بالمدينة بعث إليها أبو جعفر المنصور بصاحب جيشه عيسى بن موسى مع جيش كثيف، فقتلوا محمداً بعد غلبته على مكة والمدينة. وكان أخوه إبراهيم بن عبد اللّه قد غلب على أرض المغرب.

فأما محمد بن عبد اللّه بن الحسن فقتل بالمدينة في الحرب، وأما إبراهيم بن عبد اللّه بن الحسن فإنه غرّه يسير الرحال واتباعه من المعتزلة، وضمنوا له النصرة

---

(١) سورة الزخرف، الاية: ٨١.
(٢) سورة الأحزاب، الآية: ٧٢.
(٣) سورة الحشر، الآية: ١٦.

على جند المنصور، فلما التقى الجمعان بنا حمرى وهي على ستة عشر فرسخاً من الكوفة قتل إبراهيم، وانهزمت المعتزلة عنه، ولحقه شؤمهم، وتولى قتالهم من أصحاب المنصور عيسى بن موسىٰ وسلم بن قتيبة. وأما أخوه الرئيس فإنه مات بأرض المغرب وقيل: إنه سم.

وذكر بعض أصحاب التواريخ: أن سليمان بن جرير الزيدي سمه ثم هرب إلى العراق، فلما قتل محمد بن عبد اللَّه بن الحسين بن الحسن اختلف المغيرية في المغيرة، فهربت منه فرقة منهم ولعنوه وقالوا: إنهُ كذب في دعواه أن محمد بن عبد اللَّه بن الحسن هو المهدي الذي يملك الأرض؛ لأنهُ قتل ولم يملك الأرض ولا عشرها.

وفرقة ثبتت على موالاة المغيرة وقالت: إن صدق في أن محمد بن عبد اللَّه بن الحسن هو المهدي المنتظر، وأنه لم يقتل، بل هو في جبل من جبال حاجز مقيم إلى أن يؤمر بالخروج، فإذا خرج عقدت له البيعة بمكة بين الركن والمقام، ويحيى له سبعة عشر رجلاً يعطى كل رجل منهم حرفاً واحداً من حروف الاسم الأعظم، فيهزمون الجيوش ويملكون الأرض.

وزعم هؤلاء أن الذي قتله جند المنصور بالمدينة إنما كان شيطاناً تمثل للناس بصورة محمد بن عبد اللَّه بن الحسين بن الحسن وهؤلاء يقال لهم المحمدية من الرافضة لانتظارهم محمد بن عبد اللَّه بن الحسين بن الحسن.

وكان جابرٌ الجُعْفِي على هذا المذهب، وادعى وَصِيَّة المغيرة بن سعيد إليه بذلك، فلما مات جابر ادعى بكر الأعور الهَجَري القَنَّات وصيَّةَ جابر إليه، وزعم أنه لا يموت، وأكَلَ بذلك أموال المغيرية على وجه السخرية منهم، فلما مات بكر علموا أنه كان كاذباً في دعواه فلعنوه.

قال عبد القاهر: كيف يُعَدُّ في فِرَقِ الإسلام قومٌ شبَّهوا معبودهم بحروف الهجاء، وادعوا نبوة زعيمهم؟ لو كان هؤلاء من الأمة لصحَّ قول من يزعم أن القائلين

بصورتهم، فانتظِرُوا حُسَيناً فإنه أعلى رتبة من ابن أخيه محمد بن عبد اللَّه ابن الحسن بن الحسن، وانتظروا علياً، ولا تصدِّقوا بقتله كما أنظرته السبئيَّة؛ فإن علياً أجلُّ من بنيه، وهذا مالا انفصال لهم عنه.

الفصل الرابع
من هذا الباب

في ذكر الحربية، وبيان خروجهم عن فرق الأمة

هؤلاء أتباع عبد اللَّه بن عَمْرو بن حَرْب الكِنْدِي، وكان على دين البَيَانية في دعواها أن روح الإلٰهِ تناسخت في الأنبياء والأئمة، إلى أن انتهت إلى أبي هاشم عبد اللَّه بن محمد بن الحنفية، ثم زعمت الحربية أن تلك الروحَ انتقلت من عبد اللَّه بن محمد بن الحنفية إلى عبد اللَّه بن عمرو بن حرب، وادَّعَت الحربية في زعيمها عبد اللَّه بن عمرو بن حرب مثلَ دعوى البيانية في بَيَان بن سمعان، وكلتا الفرقتين كافرة بربها، وليست من فرق الإسلام، كما أن سائر الحُلولية خارجة عن فرق الإسلام.

الفصل الخامس
من هذا الباب

في ذكر المنصورية، وبيان خروجها عن جملة فِرَقِ الإسلام

هؤلاء أتباع أبي منصور العِجْليِّ الذي زعَم أن الإمامة دارَتْ في أولاد علي حتى انتهت إلى أبي جعفرٍ محمد بن علي بن الحسين بن علي المعروف بالباقر، وادَّعَى هذا العجليُّ أنه خليفة الباقر، ثم ألْحَدَ في دَعْواه، فزعم أنه عُرِجَ به إلى السماء، وأن اللَّه تعالى مسح بيده على رأسه، وقال له: يا بُنَيَّ بَلِّغْ عني، ثم أنْزَله إلى الأرض، وزعم أنه الكِسْفُ الساقط من المساء المذكور في قوله: ﴿وَإِنْ يَرَوْا كِسْفًا مِنَ السَّمَاءِ سَاقِطًا يَقُولُوا سَحَابٌ مَرْكُومٌ﴾[1].

(١) سورة الطور، الآية: ٤٤.

وكفرت هذه الطائفة بالقيامة والجنة والنار، وتأوَّلُوا الجنة على نعيم الدنيا، والنار على مِحَنِ الناس في الدنيا، واستحلُّوا ـ مع هذه الضلالة ـ خَنْقَ مخالفيهم.

واستمَّرتْ فتنتهم على عادتهم إلى أن وقف يُوسُف بن عمر الثقفي وَالِي العراق في زمانه على عَوْرَات المنصورية، فأخذ أبا منصور العجلي وصَلَبه.

وهذه الفرقة أيضاً غيرُ معدودة في فِرَقِ الإسلام؛ لكفرها بالقيامة والجنة والنار.

الفصل السادس
من هذا الباب

في ذكر الجَنَاحِيّةِ من الغُلَاة، وبيان خروجها عن فِرَقِ الإسلام

هؤلاء أتباع عبد اللَّه بن معاوية بن عبد اللَّه بن جعفر بن أبي طالب. وكان سبب اتِّبَاعهم له أن المغيرية الذين تبرَّؤوا من المغيرة بن سعيد ـ بعد قَتْل محمد بن عبد اللَّه بن الحسن بن الحسن بن علي ـ خرجوا من الكوفة إلى المدينة يطلبون إماماً، فلقيهم عبد اللَّه بن معاوية بن عبد اللَّه بن جعفر، فَدَعاهم إلى نفسه، وزعم أنه هو الإمام بعد علي وأولادِه من صُلْبه، فبايعوه على إمامته، ورجعوا إلى الكوفة، وحَكَوا لأتباعهم أن عبد اللَّه بن معاوية بن عبد اللَّه بن جعفر زعم أنه رَبٌّ، وأن روح الإلٰهِ كانت في آدم، ثم في شيث، ثم دارت في الأنبياء والأئمة إلى أن انتهت إلى علي، ثم دارت في أولاده الثلاثة، ثم صارت إلى عبد اللَّه بن معاوية، وزعموا أنه قال لهم: إن العلم يَنْبُتُ في قلبه كما تَنْبُتُ الكَمْأة والعشب.

وكفرت هذه الطائفة بالجنة والنار، واستحلُّوا الخمر والميتة والزِّنى واللواط وسائر المحرمات، وأسقطوا وجوب العبادات، وتألوا العبادات على أنها كنايات عمن تجبُ موالاتهم من أهل بيت عليّ، وقالوا في المحرمات المذكورة في القرآن إنها كنايات عن قوم يجب بُغْضُهم كأبي بكر وعمر وطلحة والزبير وعائشة.

وقد ذكر ابن قتيبة في كتاب (المعارف) أن عبد اللَّه بن معاوية هذا ظَهَر بناحيتي فارس وأصفهان في جنده، فبعث أبو مُسْلم الخراساني إليه جيشاً كثيفاً فَقَتَلوه، وأنكر أتباعُه قتله، وزعموا أنه حي.

ويقال لهذه الطائفة: إن لم يكن لنا جنة ولا نار ولا ثواب ولا عقاب فليس على مخَالفيكم خوف من قتلكم وسَبْي نسائكم.

الفصل السابع
من هذا الباب

في ذكر الخطابية، أتباع أبي الخَطَّاب الأسدي

وهم يقولون إن الإمامة كانت في أولاد علي، إلى أن انتهت إلى جعفر الصادق، ويزعمون أن الأئمة كانوا آلِهَةً، وكان أبو الخطاب يزعم أولاً أن الأئمة أنبياء، ثم زعم أنهم آلهة، وأن أولاد الحسن والحسين كانوا أبناء اللَّه وأحِبَّاءه، وكان يقول: إن جعفراً إلٰه، فلما بلغ ذلك جعفراً لعنه وطرده.

وكان أبو الخطاب يدعي بعد ذلك الإلٰهيَّة لنفسه، وزعم أتباعه أن جعفراً إلٰهٌ، غير أن أبا الخطاب أفضل منه وأفضل من علي.

والخَطَّابية يَرَوْنَ شهادَة الزور لموافقيهم على مخالفيهم، ثم إن أبا الخطاب نصب خَيْمَة في كُناسة الكوفة ودعا فيها أتباعه إلى عبادة جعفر، ثم خرج أبو الخطاب على والي الكوفة في أيام المنصور، فبعث إليه المنصور بعيسى بن موسى في جيش كثيف، فأسَرُوه فصُلب في كناسة الكوفة.

وأتباعُه كانوا يقولون: ينبغي أن يكون في كل وقتٍ إمامٌ ناطق وآخر ساكت، والأئمة يكونون آلهة ويعرفون الغيب، ويقولون: إن علياً كان في وقت النبي صامتاً، وكان النبي ﷺ ناطقاً، ثم صار عليٌّ بعده ناطقاً. وهكذا يقولون في الأئمة، إلى أن انتهى الأمرُ إلى جعفر، وكان أبو الخطاب في وقته إماماً صامتاً، وصار بعده ناطقاً.

وأتباع أبي الخطاب افترقوا بعد صَلْبه خمسَ فرَقٍ كلُّهم يزعمون أن الأئمة آلهة، وأنهم يعلمون الغيب وما هو كائن قبل أن يكون، وكلهم كفار مارقون من دين الإسلام.

فالفرقة الأولى منهم المعمرية، وهم يقولون: إن الإمام بعد أبي الخطاب رجل اسمه معمر، وكانوا يعبدونه كما يعبدون أبا الخطاب، وكانوا يزعمون أن الدنيا لا تفْنَى، وأن الجنة هي التي تصيب الناس من خير ونعمة وعافية، وأن النار هي التي تصيب الناس من شر ومشقة وبلية، واستحلوا المحرَّ مات، ودَانُوا بترك الفرائض، وكانوا ينكرون القيامة، ويقولون بتناسخ الأرواح.

الفرقة الثانية: البزيغية، وهم أتباع بزيغ، وكان يزعم أن جعفراً كان إلٰهاً، ولم يكن جعفر ذلك الذي يراه الناس، بلى كان يظهر للناس بتلك الصورة.

وزعموا أيضاً أن كل مؤمن يُوحَى إليه، وتأوَّلُوا على ذلك قول اللَّه تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَنْ تَمُوتَ إِلا بِإِذْنِ اللَّهِ﴾[1] أي بِوَحْيٍ منه إليه، واستدلُّوا أيضاً بقوله ﴿وإِذْ أَوْحَيْتُ إِلَى الحَوَارِيينَ﴾[2] وادعوا في أنفسهم أنهم هم الحواريون، وذكروا قول اللَّه تعالى: ﴿وَأَوْحَى رَبُّكَ إِلَى النَّحْلِ﴾[3] وقالوا: إذا جاز الوَحْيُ إلى النحل فالوَحْيُ إلينا أوْلىٰ بالجواز.

وزعموا أيضاً أنَّ فيهم مَنْ هو أفضل من جبريل وميكائيل ومحمد.

وزعموا أيضاً أنهم لا يموتون، وأن الواحد منهم إذا بلغ النهاية في دينه رُفعَ إلى الملكوت.

وزعموا أنهم يَرَوْنَ المرفوعين منهم غدوة وعشية.

(١) سورة آل عمران، الآية: ١٤٥.
(٢) سورة المائدة، الآية: ١١١.
(٣) سورة النحل، الآية: ٦٨.

والفرقة الثالثة منهم: العميرية، أتباع عمير بن بيان العجلي قالوا بتكذيب الذين قالوا منهم إنهم لا يموتون، وقالوا: إنا نموت، ولكن لا يزال خَلَفٌ منا في الأرض أئمة أنبياء، وعَبَدُوا جعفراً، وسموه رباً.

والفرقة الرابعة منهم: المفضلية لانتسابهم إلى رجل كان يقال له مفضل الصيرفي قالوا بإلٰهِيَّة جعفر دون نبوته، وتبرأوا من أبي الخطَّاب لبَرَاءة جعفر منه.

والفرقة الخامسة منهم: الخطَّابية المطلقة، ثبتت على موالاة أبي الخطاب في دعاويه كلها، وأنكرت إمامة مَنْ بعده.

قال عبد القاهر: إن الباطنية والمنصورية والجَنَاحية والخَطَّابية قد أكفروا أبا بكر وعمر وعثمان وأكثَرَ الصحابة بإخراجهم علياً من الإمامة في عصرهم، وهم قد أخرجوا الإمامة عن أولاد علي في أعصار زعمائهم، فيقال لهم: إذا كان عليٌّ في وقته أوْلٰى بالإمامة من سائر الصحابة، فهلا كان أولاده أولى بها من زعمائهم في أعصارهم، وليس العجب من هؤلاء الضالين، وإنما العجب مَن مِن علَوِيَّة قَبلُوا هؤلاء مع استبدادهم دونهم بالإمامة.

الفصل الثامن
من هذا الباب

في ذكر الغُرَابية، والمُفَوضة، والذمّية
وبيان خروجهم عن فِرَقِ الأمة

الغُرَابية: قوم زعموا أن اللَّه عزّ وجلّ أرسل جبريلَ عليه السلام إلى علي، فغَلِطَ في طريقه فذهب إلى محمد، لأنه كان يشبهه، وقالوا: كان أشْبَهَ به من الغُرَاب بالغُرَاب، والذُّبَاب بالذُّباب، وزعموا أن عليًا كان الرسولَ وأولاده بعده هم الرسل، وهذه الفرقة تقول لأتباعها: العَنُوا صاحب الريش، يعنون جبريل عليه السلام.

وكُفْرُ هذه الفرقة أكْثَرُ من كفر اليهود الذين قالوا لرسول اللَّه ﷺ: مَنْ يأتيك

بالوحْيِ من اللَّه تعالى؟ فقال: جبريل، فقالوا: إنا لا نحب جبريل، لأنه ينزل بالعذاب، وقالوا: لو أتاك بالوحي مِيكَائِيلُ الذي لا ينزل إلا بالرحمة لآمنَّا بك، فاليهود ـ مع كفرهم بالنبي ﷺ، ومع عَدَاوتهم لجبريل عليه السلام ـ لا يلعنون جبريل، وإنما يزعمون أنه من ملائكة العذاب دون الرحمة، والغُرَابية من الرافضة يلعنون جبريل ومحمداً عليهما السلام، وقد قال اللَّه تعالى: ﴿**مَنْ كَانَ عَدُوًّا للَّه وَمَلَائِكَتِهِ وَرُسُلِهِ وَجِبْرِيلَ وَمِيكَالَ فَإِنَّ اللَّهَ عَدُوٌّ لِلْكَافِرِينَ**﴾[1] وفي هذا تحقيق اسم الكافر لمبغض بعض الملائكة، ولا يجوز إدخالُ من سَمَّاهُم اللَّه كافرين في جملة فِرَقِ المسلمين.

وأما المفوضة من الرافضة: فقومٌ زعموا أن اللَّه تعالى خلق محمداً، ثم فوَّضَ إليه خلق العالم وتدبيره، فهو الذي خَلَقَ العالم دون اللَّه تعالى، ثم فَوَّض محمدٌ تدبير العالم إلى علي بن أبي طالب، فهو المدبر الثاني.

وهذه الفرقة شَرٌّ من المجوس الذين زَعمُوا أن الإلٰهَ خلق الشيطان، ثم إن الشيطان خلق الشرور، وشر من النصارى الذين سَمَّوْا عيسى عليه السلام مدبراً ثانياً؛ فمن عَدَّ مفوضَةَ الرافضة من فِرَقِ الإسلام، فهو بمنزلة من عَدَّ المجوس والنصارى من فرق الإسلام.

وأما الذَّمِّيَّة منهم: فقوم زعَمُوا أن عليًا هو اللَّه، وشتموا محمداً، وزعموا أن علياً بعثه لينبىء عنه فأدَّعَى الأمر لنفسه.

وهذه خارجة عن فرق الإسلام لكفرها بنبوة محمد من اللَّه تعالى.

الفصل التاسع
من هذا الباب

في ذكر الشريعية والنميرية من الرافضة

الشريعيَّة أتباعُ رجلٍ كان يعرف بالشريعي، وهو زَعَمَ أن اللَّه تعالى حلَّ في

(١) سورة البقرة، الآية: ٩٨.

خمسة أشخاص ـ وهم: النبي، وعلي، وفاطمة، والحسن، والحسين ـ وزعموا أن هؤلاء الخمسة آلهة، ولها أضداد خمسة، واختلفوا في أضدادها؛ فمنهم من زعم أنها محمودة، لأنه لا يُعْرَفُ فَضْلُ الأشخاص التي فيها الإلٰهَ إلا بأضدادها، ومنهم من زعَمَ أن الأضداد مذمومة، وحكى عن الشريعي أنه أدعى يوماً أن الإلٰهَ حلَّ فيه.

وكان بعده من أتباعه رجلٌ يعرف بالنميري، حكى عنه أنه ادعى في نفسه أن اللّٰه تعالى حَلّ فيه.

فهذه ثمانُ فِرَقٍ من الروافض الغُلَاة خارجة عن جميع فرق الإسلام لإثباتهم إلٰهاً غير اللّٰه.

ومن أعجب الأشياء أن الخَطَّابية زعمت أن جعفراً الصادق قد أوْدَعَهُمْ جِلْداً فيه علم كل ما يحتاجون إليه من الغيب، وسَمَّوْا ذلك الجلد: جَفْراً وزعموا أنه لا يقرأ ما فيه إلا مَنْ كان منهم، وقد ذكر ذلك هارون بن سَعْد العجلي في شعره، فقال:

أَلَـمْ تـرَ أنَّ الـرَّافِضِيـنَ تَفَـرَّقُـوا   وكُلُّهُـمُ فِـي جَعْفَـر قـال مُنكَـرا
فطـائفـةٌ قَـالُـوا: إلٰـهٌ، ومِنْهُـمُ   طَـوائـفُ سَمَّتْـه النبـيَّ المُطَهَّـرَا
وَمِنْ عَجَب لـم أقضه جلد جعفر   بَـرِئْتُ إلَـى الرَّحْمٰنِ ممَّنْ تَجَعْفَرَا
فإن كَانَ يَرْضَى ماَ يَقُولُونَ جَعْفَرٌ   فـإنِّـي إلَـى رَبِّـي أفَـارِقُ جَعْفَـرَا
برِئْتُ إلَى الرَّحْمٰنِ مِنْ كُلِّ رَافِضٍ   بَصِير ببَابِ الكُفْرِ فِي الدِّين أعْوَرَا
إذا كَفَّ أهْلُ الحقِّ عَنْ بِدْعَةٍ مَضَى   عَلَيْهَا وَإنْ يَمْضُوا إلى الْحقِّ قَصَّرَا
وَلَوْ قيل إنَّ الْفِيلَ ضَبٌّ لصَدَّقُوا   ولـو قيـل زَنْجِـيٌّ تحـوَّلَ أحْمَـرَا
وأخْلَـف مـن بَـوْلِ البَعِيـرِ فـإنـه   إذَا هُـوَ لـلأقبـال وُجِّـهَ أدْبَـرَا
فيـا قُبْـحَ أقـوامٍ رَمَـوْهُ بِفِـرْيَـةٍ   كمَاَ قَالَ فِي عِيسَى الفِرَى مَنْ تَنَصَّرَا

* * *

الفصل العاشر
من هذا الباب

في ذكر أصناف الحُلُولية، وبيان خروجها عن فِرَقِ الإسلام

الحلولية في الجملة عَشْرُ فرقٍ كلُّها كانت في دولة الإسلام، وغرضُ جميعها القصد إلى إفساد القول بتوحيد الصانع، وتفصيلُ فرقها في الأكثر يرجع إلى غُلاَة الروافض، وذلك أن السَّبئيَّة والبيانية والجناحية والخطابية والنميرية منهم بأجمعها حُلُولية، وظهر بعدهم المُقَنَّعية بما وراء نهر جَيْحون، وظهر قوم بِمَروَ يقال لهم: رزامية، وقوم يقال لهم: بركوكية، وظهر بعدهم قوم من الحلولية يقال لهم: حلمانية، وقوم يقال لهم: حَلاَّجية، ينسبون إلى الحُسَيْن بن مَنْصُور المعروف بالحلاَّج[1] . . . . . .

(١) أبو عبد اللَّه الحسين بن منصور بن محمي الفارسي الحلاج، وكان محمي مجوسياً، قال في العبر: تصوف الحلاج وصحب سهل بن عبد اللَّه التستري، ثم قدم بغداد فصحب الجنيد والنوري وتعبد فبالغ في المجاهدة والترتب، ثم فتن ودخل عليه الداخل من الكبر والرئاسة فسافر إلى الهند وتعلم السحر، فحصل له حال شيطاني وهرب منه الحال الإيماني، ثم بدت منه كفريات أباحت دمه وكسرت صنمه، واشتبه على الناس السحر بالكرامات فضلَّ به خلق كثير كدأب من مضى ومن يكون إلى مقتل الدجال الأكبر، والمعصوم من عصمه اللَّه، وقد جال هذا الرجل بخراسان وما وراء النهر والهند، وزرع في كل ناحية زندقة، فكانوا يكاتبونه من الهند بالمغيث، ومن بلاد الترك بالمقيت لبعد الدار عن الإيمان، وأما البلاد القريبة فكانوا يكاتبونه من خراسان بأبي عبد اللَّه الزاهد، ومن خوزستان بالشيخ حلاج الأسرار، وسماه أشياعه ببغداد: المصطلم، وبالبصرة: المحير، ثم سكن بغداد في حدود الثلاثمائة وقبلها، واشترى أملاكاً وبنى داراً وأخذ يدعو الناس إلى أمور، فقامت عليه الكبار، ووقع بينه وبين الشبلي والفقيه محمد بن داود الظاهري والوزير علي بن عيسى الذي كان في وزارته كإبن هبيرة في وزارته علماً وديناً وعدلاً، فقال ناس: ساحر، فأصابوا، وقال ناس: به مس من الجن، فما أبعدوا، لأن الذي كان يصدر منه لا يصدر من عاقل، إذ ذلك موجب حتفه، أو هو كالمصروع أو المصاب الذي يخبر بالمغيبات ولا يتعاطى بذلك حالاً، ولا أن ذلك من قبيل الوحي ولا الكرامات، وقال ناس من الأغتام: بل هذا رجل عارف ولي للَّه صاحب كرامات فليقل ما شاء فجهلوا من وجهين: أحدهما أنه ولي، والثاني: أن الولي يقول ما شاء فلن يقول إلا الحق، وهذه بلية عظيمة، ومرضة مزمنة، أعيا الأطباء داؤها وراج بهرجها وعز ناقدها واللَّه المستعان. قال أحمد بن يوسف التنوخي الأزرق: كان الحلاج يدعو كل وقت إلى شيء على حسب ما يستبله طائفة، أخبرني =

وقوم يقال لهم: العذافرة ينسبون إلى ابن أبي العذافر، وتبع هؤلاء الحلوليةَ قومٌ من الخرمية شاركوهم في استباحة المحرمات وإسقاط المفروضات، ونحن نذكر نِحْلَتَهم على الاختصار.

= جماعة من أصحابه أنه لما افتتن الناس بالأهواز لما يخرج لهم من الأطعمة في غير وقتها والدراهم ويسميه دراهم القدرة، حدث الجبائي بذلك فقال: هذه الأشياء تمكن الحيل فيها، ولكن أدخلوه بيتاً من بيوتكم وكلفوه أن يخرج منه جرزتي شوك، فبلغ الحلاج قوله، فخرج من الأهواز. وروي عن عمرو بن عثمان المكي أنه لعن الحلاج وقال: قرأت آية من القرآن؟ فقال: يمكنني أن أؤلف مثلها، وقال أبو يعقوب الأقطع: زوجت بنتي بالحلاج، فبان لي بعد أنه ساحر محتال. وقال الصولي: جالست الحلاج فرأيت جاهلاً يتعاقل، وعيياً يتبالغ، وفاجراً يتزهد، وكان ظاهره أنه ناسك، فإذا علم أن أهل بلد يرون الاعتزال صار معتزلياً، أو يرون التشيع تشيع، أو يرون التسنن تسنن، وكان يعرف الشعبذة والكيمياء والطب، ويتنقل في البلدان ويدعي الربوبية، ويقول للواحد من أصحابه: أنت آدم، ولذا: أنت نوح، ولهذا: أنت محمد، ويدعي التناسخ، وأن أرواح الأنبياء انتقلت إليهم. وقال الصولي أيضاً: قبض علي الراسبي أمير الأهواز على الحلاج في سنة إحدى وثلاثمائة، وكتب إلى بغداد يذكر أن البينة قامت عنده أن الحلاج يدعي الربوبية ويقول بالحلول، فحبس مدة، وكان يرى الجاهل شيئاً من شعبذته فإذا وثق به دعاه إلى أنه إلَه، ثم قيل: إنه سني، وإنما يريد قتله الرافضة، ودافع عنه نصر الحاجب قال: وكان في كتبه أنه مغرق قوم نوح ومهلك عاد وثمود، وكان الوزير حامد قد وجد له كتاباً فيه: إن المرء إذا عمل كذا وكذا من الجوع والصدقة ونحو ذلك أغناه ذلك عن الصوم والصلاة والحج، فقام عليه حامد فقتل وأفتى جماعة من العلماء بقتله، وبعث حامد بن العباس بخطوطهم إلى المقتدر، فتوقف المقتدر فراسله: إن هذا قد ذاع كفره وادعاؤه الربوبية، وإن لم يقتل افتتن الناس فأذن في قتله، فطلب الوزير صاحب الشرطة وأمره أن يضربه ألف سوط فإن لم يمت وإلا قطع أربعته، فأحضر وهو يتبختر في قيده، فضرب ألف سوط ثم قطع يده ورجله ثم حز رأسه وأحرقت جثته. وقال ثابت بن سنان: انتهى إلى حامد في وزارته أمر الحجاج، وأنه قدموه على جماعة من الخدم والحشم وأصحاب المقتدر بأنه يحيي الموتى، وإن الجن يخدمونه ويحضرون إليه ما يريد، وكان محبوساً بدار الخلافة، فأحضر جماعة إلى حامد فاعترفوا أن الحلاج إلٰه وأنه يحيي الموتى، ثم وافقوه وكاشفوه، وكانت زوجة السمري عنده في الاعتقال، فأحضرها حامد فسألها فقالت: قد قال مرة: زوجتك بابني وهو بنيسابور، وإن جرى منه ما تكرهين فصومي واصعدي على السطح على الرماد فافطري على الملح واذكري منه ما تكرهينه فإني أسمع وأرى. قالت وكنت نائمة وهو قريب مني فما أحسست إلا وقد غشيني فانتبهت فزعة، فقال: إنما جئت لأوقظك للصلاة. وقالت لي بنته يوماً: اسجدي له، فقلت أو يسجد أحد لغير اللّٰه، وهو يسمعني، فقال: نعم، إلٰه في السماء وإلٰه في الأرض.
قتل سنة تسع وثلاثمائة. (انظر شذرات الذهب ٢/ ٢٥٣).

أما السبئيّة فإنما دخلت في جملة الحلولية لقولها بأن عليًّا صار إلٰهاً بحلول روح الإلٰه فيه.

وكذلك البيانية زَعَمَتْ أن روح الإلٰه دارت في الأنبياء والأئمة حتى انتهت إلى علي، ثم دارت إلى محمد ابن الحنفية، ثم صارت إلى ابنه أبي هاشم، ثم حلَّت بعده في بَيَان بن سمعان، وادعوا بذلك إلٰهية بيان بن سمعان.

وكذلك الجناحية منهم حُلُولية لدعواها أن روح الإلٰه دارت في علي وأولاده، ثم صارت إلى عبد اللَّه بن معاوية بن عبد اللَّه بن جعفر، فكفرت بدعواها حلولَ روح الإلٰه في زعيمها، وكفرت مع ذلك بالقيامة والجنة والنار.

والخطابية كلها حلولية، لدعواها حلول روح الإلٰهِ في جعفر الصادق، وبعده في أبي الخطاب الأسدي، فهذه الطائفة كافرة من هذه الجهة، ومن جهة دعواها أن الحسن والحسين وأولادهما أبناء اللَّه وأحِبَّاؤه، ومن ادعى منهم في نفسه أنه من أبناء اللَّه فهو أكْفَرُ من سائر الخطابية.

والشريعيّة والنميريّة منهم حُلُولية، لدعواها أن روح الإلٰه حلَّتْ في خمسة أشخاص: النبي، وعلي، وفاطمة، والحسن، والحسين؛ ولدعواها أن هؤلاء الأشخاص الخمسة آلهة.

وأما الرِّزَامِيّة: فقوم بمرْوَ أفرطوا في مُوالاة أبي مُسْلم صاحب دولة بني العباس، وساقوا الإمامةَ من أبي هاشم إليه، ثم ساقوها من محمد بن علي إلى أخيه عبد اللَّه بن علي السفاح، ثم زعَمُوا أن الإمامة بعد السفاح صارت إلى أبي مسلم، وأقَرُّوا ـ مع ذلك ـ بقتل أبي مسلم وموته، إلا فرقة منهم يقال لهم: أبو مسلمية، أفرطوا في أبي مسلم غاية الإفراط، وزعموا أنه صار إلٰهاً بحلول روح الإلٰه فيه، وزعموا أن أبا مسلم خيرٌ من جبريل وميكائيل وسائر الملائكة، وزعموا أيضاً أن أبا مسلم حيٌّ لم يمت، وهم على انتظاره، وهؤلاء بمَرْوَ وهَرَاة يعرفون بالبركوكية، فإذا سئل هؤلاء عن الذي قتله المنصورُ قالوا: كان شيطاناً تصوَّر للناس في صورة

أبي مسلم.

وأما المُقَنَّعية: فهم المُبَيِّضَة بما وراء نهر جَيْحُون، وكان زعيمهم المعروف بالمُقَنَّع(١) رجلاً أعْوَرَ قصَّاراً بِمَرْو، من أهل قرية يقال لها: كازه كيمن دات، وكان قد عَرَف شيئاً من الهندسة والحِيَل والنيرنجات، وكان على دين الرِّزَامية بمَرْوَ، ثم ادعى لنفسه الإلٰهِيَّة، واحتجب عن الناس ببرقع من حَرير، واغتَرَّ به أهلُ جبل ابلاق وقوم من الصغد، ودامت فِتَنُه على المسلمين مقدار أربع عشرة سنة، وعاوَنَه كفرة الأتراك الخلجية على المسلمين للغارة عليهم، وهزموا عساكر كثيرة من عساكر المسلمين في أيام المهديِّ بن المنصور، وكان المقنَّع قد أباح لأتباعه المحرَّمَات، وحَرَّم عليهم القول بالتحريم، وأسقط عنهم الصلاة والصيام وسائر العبادات، وزعم لأتباعه أنه هو الإلٰه، وأنه كان قد تصوَّر مرة في صورة آدم، ثم تصور في وقتٍ آخر

(١) ظهر عطاء المقنع الساحر الملعون سنة إحدى وستين ومائة، ادعى الربوبية بناحية مرو واستغوى خلائق لا يحصون. قال ابن خلكان في تاريخه: عطاء المقنع الخراساني لا أعرف اسم أبيه، وكان مبدأ أمره قصاراً من أهل مرو، وكان يعرف شيئاً من السحر والنيرجات فادعى الربوبية من طريق المناسخة، وقال لأشياعه والذين اتبعوه: إن اللّٰه تعالى تحول إلى صورة آدم عليه السلام، فلذلك قال للملائكة اسجدوا له فسجدوا له إلا إبليس، فاستحق بذلك السخط، ثم تحول من صورة آدم إلى صورة نوح ثم إلى صورة واحد فواحد من الأنبياء عليهم السلام والحكماء حتى حصل في صورة أبي مسلم الخراساني، ثم زعم أنه انتقل منه إليه، فقبل قوم دعواه وعبدوه وقاتلوا دونه مع ما عاينوا من عظيم إدعائه وقبح صورته، لأنه كان مشوه الخلق أعور، وإنما غلب على عقولهم بالتمويهات التي أظهرها لهم بالسحر والنيرجات، وكان في جملة ما أظهر لهم صورة قمر يطلع فيراه الناس من مسيرة شهرين من موضعه ثم يغيب، فعظم اعتقادهم فيه، وقد ذكر أبو العلاء المعري هذا القمر في قوله:

أفِق إنما البدر المقنع رأسه ضلال وغي مثل بدر المقنع

وإليه أشار ابن سناء الملك بقوله:

إليك فلا بدر المقنع طالعاً بأسحر من ألحاظ بدري المعمم

ولما اشتهر أمر المقنع وانتشر ذكره ثار عليه الناس وقصدوه في قلعته التي كان قد إعتصم بها وحصروه، فلما أيقن الهلاك جمع نساءه وسقاهن سماً فمتن، ثم تناول شربة من ذلك السم فمات، ودخل المسلمون قلعته فقتلوا من فيها من أشياعه وأتباعه، وذلك في سنة ثلاث وستين ومائة، لعنه اللّٰه تعالى ونعوذ باللّٰه من الخذلان.
(انظر شذرات الذهب ١/ ٢٤٨).

بصورة نوح، وفي وقت آخر بصورة إبراهيم، ثم تردَّد في صور الأنبياء إلى محمد، ثم تصور بعده في صورة علي، وانتقل بعد ذلك في صُوَر أولاده، ثم تصوَّر بعد ذلك في صورة أبي مسلم، ثم إنه زَعَمَ أنه في زمانه الذي كان قد تصور بصورة هشام بن حكيم وكان [آسمه عطاء][1] بن حكيم، وقال: إني إنما أتَنَقلُ في الصور لأن عبادي لا يطيقون رؤيتي في صورتي التي أنا عليها، ومَنْ رآني احترق بنوري، وكان له حصن عظيم وثيق بناحية كش[2] ونخشب[3] يقال له سيام، وكان عرض جدار سورها أكثر من مائة آجُرَّة، ودونها خندق كبير، وكان معه أهل الصغد والأتراك الخلجية، وجَهَّز المهديُّ إليهم صاحب جيشه مُعَاذ بن مسلم في سبعين ألفاً من المقاتلة، وأتبعهم بسعيد بن عمرو الجرشي. ثم أفرد سعيداً بالقتال وبتدبير الحرب، فقاتله سنين، واتخذ سعيد من الحديد والخشب مائتي سُلّم ليضعها على عرض خندق المقنع ليعْبُرَ عليها رجاله، واستدعى من مولتان الهند عشرة آلاف جلد جاموس وحَشَاها رَمْلاً وكبس بها خندق المقنع، وقاتل جند المقنع من وراء خندقِهِ، فاستأمن منهم إليه ثلاثون ألفاً، وقتل الباقون منهم، وأحرق المقنع نفسه في تنور في حصنه قد أذَابَ فيه النحاس مع القَطِرَان حتى ذاب فيه، وافْتَتَنَ به أصحابه بعد ذلك لما لم يجدوا له جثة ولا رماداً، وزعموا أنه صَعَد إلى السماء، وأتباعُه اليوم في جبال ابلاق أكره أهلها، ولهم في كل قرية من قُرَاهم مسجد لا يُصَلّون فيه، ولكن يكترون مؤذناً فيه، وهم يستحلون الميتة والخنزير، وكل واحد منهم يستمتع بآمرأة غيره، وإن ظفروا بمسلم لم يَرَه المؤذن الذي في مسجدهم قتلوه وأخْفَوْه، غير أنهم مقهورون بعامة المسلمين في ناحيتهم، والحمد للّه على ذلك.

(١) وردت في الأصل: هشام، وما أثبتناه ذكره ابن خلكان.

(٢) كش (بالفتح ثم التشديد). قرية على ثلاثة فراسخ من جرجان على الجبل، وكش: قرية من قرى أصفهان بكاف غير صريحة إلا أنه يكتب بالجيم بدل الكاف. (انظر مراصد الاطلاع ٣/ ١١٦٧).

(٣) نخشب (بالفتح ثم السكون وسين معجمة مفتوحة وباء موحدة). من مدن مما وراء النهر، بين جيحون وسمرقند، وليست على طريق بخارى، فإن القاصد من بخارى إلى سمرقند يجعل نخشب على يساره، بينها وبين سمرقند ثلاث مراصد. (انظر مراصد الاطلاع ٣/ ١٣٦٣).

وأما الحلمانية من الحلولية: فهم المنسوبون إلى أبي حلمان الدمشقي، وكان أصله من فارس، ومنشؤه حلب، وأظهر بدعته بدمشق، فنسب لذلك إليها، وكان كفره من وجهين:

أحدهما: أنه كان يقول بحلول الإلٰه في الأشخاص الحسنة، وكان مع أصحابه إذا رأوا صورة حسنة سجدوا لها يوهمون أن الإلٰهَ قد حلَّ فيها.

والوجه الثاني من كفره: قوله بالإباحة، ودعواه أن مَنْ عرف الإلٰهَ على الوصف الذي يعتقده هو زال عنه الحظر والتحريم، واستباح كل ما يَسْتَلِذُّهُ ويشتهيه.

قال عبد القاهر: رأيت بعضَ هؤلاء الحلمانية يستدلّ على جواز حلول الإلٰهِ في الأجساد بقول اللَّه تعالى للملائكة في آدم: ﴿**فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي فَقَعُوا لَهُ ساجدين**﴾[1]، وكان يزعم أن الإلٰهَ إنما أمر الملائكة بالسجود لآدم لأنه قد حلَّ في آدم، وإنما حلَّه لأنه خلقه في أحسن تقويم، ولهذا قال: ﴿**لَقَد خَلَقْنَا الإنْسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيم**﴾[2]، فقلت له: أخبرني عن الآية التي استدللت بها في أمر اللَّه الملائكَةَ بالسجود لآدم عليه السلام، والآية الناطقة بأن الإنسان مخلوق في أحسن تقويم هل أريد بهما جميعُ الناسِ على العموم أم أريد بهما إنسان بعينه؟ فقال: ما الذي يلزمني على كل واحد من القولين إن قلت به؟ فقلت: إن قلت إن المراد بهما كلُّ الناس على العموم لزمك أن تسجد لكل إنسانٍ، وإن كان قبيحَ الصورة لدعواك أن الإلٰه حلَّ في جميع الناس، وإن قلت إن المراد به إنسان بعينه وهو آدم عليه السلام دون غيره فلم تسجد لغيره من أصحاب الصور الحسنة، ولم تسجد للفرس الرائع، والشجرة المثمرة، وذوات الصور الحسنة من الطيور والبهائم؟ وربما كان لَهَبُ النار في صورة رائعة، فإن استجزت السجود له فقد جمعت بين ضلالة الحلولية وضلالة عابدي النار، وإذا لم تسجد للنار ولا للماء ولا للهواء ولا للسماء مع حسن صُوَر

(١) سورة الحجر، الآية: ٢٩.
(٢) سورة التين، الآية: ٤.

هذه الأشياء في بعض الأحوال فلا تسجد للأشخاص الحسنة الصور.

وقلت له أيضاً: إن الصور الحسنَة في العالم كثيرة، وليس بعضُها بحلول الإلٰه فيه أولى من بعض، وإن زعمتَ أن الإلٰه حالٌّ في جميع الصور الحسنة فهل ذلك الحلول على طريق قيام العَرَض بالجسم، أو على طريق كون الجسم في مكانه؟ ويستحيل حلول عرض واحد في محال كثيرة، ويستحيل كونُ شيء واحد في أمكنة كثيرة، وإذا استحال هذا استحال ما يؤدِّي إليه.

وأما الحَلاَّجية، فمنسوبون إلى أبي المُغيث الحسين بن منصور المعروف بالحَلاَّج، وكان من أرض فارس من مدينة يقال لها البَيْضاء، وكان في بَدْء أمره مشغولاً بكلام الصوفية، وكانت عباراتُه حينئذٍ من الجنس الذي تسميه الصوفية: الشَّطْح، وهو الذي يحتمل معنيين: أحدهما حسن محمود، والآخر قبيح مذموم، وكان يَدَّعِي أنواع العلوم، على الخصوص والعموم، وافتتن به قومٌ من أهل بغداد وقوم من أهل طَالَقَان خرَاسان.

وقد اختلف فيه المتكلمون والفقهاء والصوفية، فأما المتكلمون فأكثرهم على تكفيره، وعلى أنه على مذهب الحلُولية، وقَبِلَه قوم من متكلمي السالمية بالبصرة، ونَسَبُوه إلى حقائق معاني الصوفية. وكان القاضي أبو بكر محمد بن الطيب الأشْعَرِي رحمه اللَّه نَسَبه إلى مُعَاطاة الحيل والمخاريق، وذكر في كتابه الذي أبان فيه عجز المعتزلة عن تصحيح دلائل النبوة على أصولهم مخاريق الحلاج ووجوه حيله.

واختلف الفقهاء أيضاً في شأن الحلاج، فتوقَّفَ فيه أبو العباس بن سُرَيْج[1]

(١) القاضي أبو العباس أحمد بن عمر بن سريج البغدادي شيخ الشافعية وصاحب التصانيف، كان يقال له: الباز الأشهب، ولي قضاء شيراز، وله من المصنفات أربعمائة مصنف، روى الحديث عن الحسن بن محمد الزعفراني وجماعة. قال الأسنوي: قال الشيخ أبو إسحاق: كان ابن سريج يفضل على جميع أصحاب الشافعي حتى على المزني.
توفي في جمادى الأولى سنة ست وثلاثمائة وله سبع وخمسون سنة وستة أشهر. (انظر شذرات الذهب ٢/ ٢٤٧).

لما استفتي في دمه، وأفتى أبو بكر محمد بن داود بجواز قتله.

واختلف فيه مشايخ الصوفية فبرىء منه عمرو بن عثمان المكي[1] وأبو يَعْقُوبَ الأقْطَع[2] وجماعة منهم. وقال عمرو بن عثمان: كنت أماشيه يوماً فقرأت شيئاً من القرآن، فقال: يمكنني أن أقول مثل هذا، وروي أن الحلاج مر يوماً على الجنيد فقال له: أنا الحقُّ، فقال الجنيد: أنت بالحق أية خشبة تفسد. فتحقق فيه ما قال الجنيد، لأنه صلب بعد ذلك. وقبله جماعة من الصوفية منهم: أبو العباس بن عَطَاء ببغداد[3]

(١) عمرو بن عثمان أبو عبد اللَّه المكي الزاهد شيخ الصوفية وصاحب التصانيف، صحب أبا سعيد الخراز والجنيد، وروى عن يونس بن عبد الأعلى وجماعة، قال السخاوي في طبقاته: عمرو بن عثمان بن كرب بن غصص المكي أبو عبد اللَّه، كان ينتسب إلى الجنيد، وكان قريباً منه في السن والعلم، وكان أحد الأعيان، ولما ولي قضاء جدة هجره الجنيد فجاء إلى بغداد وسلم عليه فلم يجبه، فلما مات حضر الجنيد جنازته ولم يصل عليه إماماً، ومن كلامه: اعلم أن كل ما توهمه قلبك من حسن أو بهاء أو أنس أو ضياء أو جمال أو شبح أو نور أو شخص أو خيال فاللَّه بعيد من ذلك كله، بل هو أعظم وأجل وأكبر، ألا تسمع إلى قوله عز وجل: ﴿ليس كمثله شيء﴾ وقال: ﴿لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفواً أحد﴾ وقال: المروءة التغافل عن زلل الأخوان وقال: لا يقع على كيفية الوجد عبارة لأنه سر اللَّه عند المؤمنين الموقنين.
توفي في سنة سبع وتسعين ومائتين. (انظر شذرات الذهب ٢/ ٢٢٥).

(٢) أبو يعقوب النهرجوري إسحاق بن محمد شيخ الصوفية، صحب الجنيد وغيره وجاور مدة، وكان من كبار العارفين، قال السخاوي في طبقاته: صحب الجنيد وعمر المكي وأبا يعقوب السوسي وغيرهم من المشايخ، أقام بالحرم سنين كثيرة مجاوراً ومات بها، كان أبو عثمان المغربي يقول: ما رأيت في مشايخنا أنور من النهرجوري، قال: الفناء هو فناء رؤية قيام العبد للَّه والبقاء رؤية قيام اللَّه في الأحكام. وقال: الصدق موافقة الحق في السر والعلانية، وحقيقة الصدق القول بالحق في مواطن الهلكة، وقال: العابد يعبد اللَّه تحذيراً، والعارف يعبد اللَّه تشويقاً. وقال في قوله ﷺ: «احترسوا من الناس بسوء الظن» أو كما قال ﷺ فقال: بسوء الظن في أنفسكم بأنفسكم لا بالناس. وقال: مفاوز الدنيا تقطع بالأقدام، ومفاوز الآخرة تقطع بالقلوب. وقال: من كان شبعه بالطعام لم يزل جائعاً، ومن كان غناه بالمال لم يزل فقيراً، ومن قصد بحاجته الخلق لم يزل مجروحاً، ومن استعان في أمره بغير اللَّه لم يزل مخذولاً. وقال: الدنيا بحر والآخرة ساحل والمركب التقوى والناس سفر. وقال: لا زوال لنعمة إذا شكرت، ولا بقاء لها إذا كفرت.
وقال: اليقين مشاهدة الإيمان بالغيب. وقال: من عرف اللَّه لم يغتر باللَّه.
توفي سنة ثلاثين وثلاثمائة. (انظر شذرات الذهب ٢/ ٣٢٥).

(٣) أبو العباس أحمد بن محمد بن سهل بن عطاء الآدمي الراصد، أحد مشايخ الصوفية القانتين =

وأبو عبد اللّه بن خفيف[1] بفارس، وأبو القاسم النَصْر آبادي[2] بنيسابور، وفارس الدينوري بناحيته.

والذين نسبوه إلى الكفر وإلى دين الحلولية حكَوْا عليه أنه قال: من هذَّب نفسه

= الموصوفين بالاجتهاد في العبادة، قيل إنه كان ينام في اليوم والليلة ساعتين ويختم القرآن كل يوم، سئل: ما المروءة؟ قال: أن لا يستكثر له عملاً.
وقال: من ألزم نفسه آداب السنة نوّر اللّه قلبه بنور المعرفة، ولا مقام أشرف من مقام متابعة الحبيب في أوامره وأفعاله وأخلاقه والتأدب بآدابه قولاً وفعلاً وعزماً ونية وعقداً، وقال: العلم الأكبر الهيبة والحياء، فمن عري عنهما عري عن الخيرات وقال: من حرم الآداب حرم جوامع الخيرات، وقال: أصح العقول عقل وافق التوفيق، وشر الطاعات طاعة أورثت عجباً، وخير الذنوب ذنب أعقب توبة وندماً. توفي بالعراق في ذي العقدة سنة تسع وثلاثمائة. (انظر شذرات الذهب ٢/ ٢٥٧).

(١) محمد بن خفيف أبو عبد اللّه الشيرازي، شيخ إقليم فارس وصاحب الأحوال والمقامات، روى عن حماد بن مدرك وجماعة، قال السلمي: هو اليوم شيخ المشايخ وتاريخ الزمان، لم يبق للقوم أقدم منه سناً ولا أتم حالاً، متمسك بالكتاب والسنة، فقيه على مذهب الشافعي، كان من أولاد الأمراء متزهد، توفي في ثالث رمضان سنة إحدى وسبعين وثلاثمائة عن خمس وتسعين سنة، وقيل: عاش مائة وأربع سنين. (انظر شذرات الذهب ٣/ ٧٦).

(٢) أبو القاسم النصر أباذي ـ بفتح النون والراء الموحدة وسكون الصاد المهملة آخره معجمة (نسبة إلى نصر أباذ محلة بنيسابور) ـ إبراهيم بن محمد بن محمويه النيسابوري الزاهد الواعظ شيخ الصوفية والمحدثين، سمع ابن خزيمة بخراسان وابن صاعد ببغداد، وابن جوصا بالشام، وأحمد العسال بمصر، وكان يرجع إلى فنون من الفقه والحديث والتاريخ وسلوك الصوفية، ثم حج وجاور سنتين ومات بمكة في ذي الحجة. قاله في العبر. وقال السخاوي: كان أوحد المشايخ في وقته علماً وحالاً، صحب الشبلي وأبا علي الروزباري والمرتعش وغيرهم، قيل: إن بعض الناس يجالسون النسوان ويقول: أنا معصوم في رؤيتهن؟ فقال: ما دامت الأشباح باقية فإن الأمر والنهي باق، والتحليل والتحريم مخاطب بهما، ولن يجترىء على الشبهات إلا من يتعرض للمحرمات. وقال: الراغب في العطاء لا مقدار له، والراغب في المعطي عزيز. وقال: العبادات إلى طلب الصفح والعفو عن تقصيرها أقرب منها إلى طلب الأعراض والجزاء، وقال: جذبة الحق تربى على أعمال الثقلين. هذا كله كلام السلمي.
وقال الحاكم: الصوفي العارف أبو القاسم النصر أباذي الواعظ، لسان أهل الحقائق، وقد كان يورق قديماً ثم تركه، غاب عن نيسابور نيفاً وعشرين سنة ثم انصرف إلى وطنه سنة أربعين، وكان يعظ على ستر وصيانة، ثم خرج إلى مكة سنة خمس وستين وجاور بها ولزم العبادة فوق ما كان من عادته، وكان يعظ ويذكر. ثم توفي في ذي الحجة سنة سبع وستين وثلاثمائة، ودفن عند تربة الفضيل بن عياض رحمهما اللّه تعالى ورضي عنهما. (انظر شذرات الذهب٣/ ٥٨).

في الطاعة وصَبَر على اللذات والشهوات ارْتَقَى إلى مقام المقربين، ثم لا يزال يصفو ويرتقي في درجات المصافاة حتى يصفو عن البشرية، فإذا لم يَبْقَ فيه من البشرية حَظّ حلّ فيه روحُ الإلٰهِ الذي حلَّ في عيسى ابن مريم، ولم يُرِدْ حينئذ شيئاً إلا كان كما أراد، وكان جميعُ فعله فعل اللَّه تعالى.

وزعموا أن الحلاج ادّعَى لنفسه هذه الرتبة، وذكر أنهم ظفروا بكتب له إلى أتباعه عُنْوانها: (من الْهُو الذي هو رب الأرباب المتصور في كل صورة، إلى عبده فلان)، فظفروا بكتب أتباعه إليه وفيها: (يا ذاتَ الذاتِ، ومنتهى غاية الشهوات، نشهد أنك المتصورُ في كل زمان بصورة، وفي زماننا هذا بصورة الحسين بن منصور، ونحن نستجيرك ونرجو رحمتك يا عَلَّام الغيوب).

وذكروا أنه استمال ببغداد جماعةً من حاشية الخليفة ومن حرمه حتى خاف الخليفة ـ وهو جعفر المقتدر باللَّه ـ مَعَرَّةَ فتنته فحبسه، واستفتى الفقهاء في دمه، واستروح إلى فتوى أبي بكر بن داود بإباحة دمه، فقدم إلى حامد بن العباس بضَرْبه ألفَ سوطٍ، وبقطع يديه ورجليه وصَلْبه بعد ذلك عند جسر بغداد، ففعل به ذلك يوم الثلاثاء لست بقين من ذي القعدة سنة تسع وثلاثمائة، ثم أنزل من جِذْعِه الذي صُلب عليه بعد ثلاث وأحرق وطرح رماده في الدجلة، وزعم بعض المنسوبين إليه أنه حَيٌّ لم يقتل، وإنما قُتل من أُلقي عليه شبهه، والذين تولَّوْهُ من الصوفية زعموا أنه كُشِفَ له أحوال من الكرامة فأظهرها للناس، فعوقب بتسليط منكري الكرامات عليه، لتبقى حاله على التلبيس.

وزعم هؤلاء أن حقيقة التصوف حال ظاهِرُها تلبيس، وباطنها تقديس، واستدلُّوا على تقديس باطن الحلاج بما روي أنه قال عند قطع يديه ورجليه: حَسْبُ الواحد إفراد الواحد، وبأنه سئل يوماً عن ذنبه فأنشأ يقول:

ثلاثة أحْرُفٍ لا عجم فيها ومعجومان وانقطع الكلام

وأشار بذلك إلى التوحيد.

أما العذافرة: فقومٌ ببغداد أتباع رجل ظهر ببغداد في أيام الراضي بن المقتدر في سنة اثنتين وعشرين وثلاثمائة، وكان معروفاً بابن أبي العذافر. واسمه محمد بن علي الشَّلْمَغَاني[1]، وادَّعَى حلولَ روح الإله فيه، وسمى نفسه روح القدس، ووضع لأتباعه كتاباً سماه بـ(الحاسة السادسة) وصَرَّح فيه برفع الشريعة، وأباح اللواط، وزعم أنه إيلاج الفاضل نوره في المفضول، وأباح أتْبَاعه له حرمهم طمعاً في إيلاجه نوره فيهن، وظفر الراضي باللَّه به وبجماعة من أتْبَاعه، منهم الحسينُ بن القاسم بن عبيد اللَّه بن سليمان بن وَهْب وأبو عمران إبراهيم بن محمد بن أحمد بن المُنَجِّم، ووجد كتبهما إليه يُخَاطبانه فيها بالرب والمولى، ويَصِفانه بالقدرة على ما يشاء، وأقروا بذلك بحضرة الفقهاء، ومنهم أبو العباس أحمد بن عمر بن سُرَيج، وأبو الفَرَج المالكي، وجماعة من الأئمة، فاعترفوا بذلك، وأمر المعروف منهم بالحسين بن القاسم بن عبيد اللَّه بالْبَرَاءة من ابن أبي العذافر بأن يَصْفَعَه، ففعل ذلك، وأظهر التوبة، وأفْتَى ابنُ سُرَيج بجواز قَبُول توبته على مذهب الشافعي رحمه اللَّه، وأفْتَى المالكيون بردِّ توبة الزنديق بعد العثور عليه، فأمر الراضي بحبسه إلى أن ينظر في أمره، وأمر بقتل ابن أبي العذافر وصاحبه ابن أبي عَوْن، فقال له ابن أبي العذافر: أمْهِلْنِي ثلاثة أيام لتنزل فيها بَرَاءتي من السماء ونقمة على أعدائي،

(١) قال الحافظ الذهبي في العبر: وفيها (أي في سنة اثنتين وعشرين وثلاثمائة) اشتهر محمد بن علي الشلمغاني ببغداد، وشاع أنه يدعي الإلّهية، وأنه يحيي الموتى، وكثر أتباعه، فأحضره ابن مقلة عند الراضي باللَّه فسمع كلامه وأنكر الإلّهية وقال: إن لم تنزل العقوبة بعد ثلاثة أيام وأكثره تسعة أيام وإلا فدمي حلال، وكان هذا الشقي قد أظهر الرفض ثم قال بالتناسخ والحلول ومخرق على الجهال وضل به طائفة، وأظهر شأنه الحسين بن روح زعيم الرافضة، فلما طلب هرب إلى الموصل وغاب سنين ثم عاد، ودعى إلى إلّهيته فتبعه فيما قيل الذي كان وزر للمقتدر الحسين بن الوزير القاسم بن الوليد بن الوزير عبيد اللَّه بن وهب وإبنا بسطام وإبراهيم بن أبي عون، فلما قبض عليه ابن مقلة كبس بيته فوجد فيه رقاعاً وكتباً مما قيل عنه ويخاطبون في الرقاع مما لا يخاطب به البشر، فأحضر وأصر علي الإنكار فصفعه ابن عبدوس، وأما ابن عون فقال: إلّهي وسيدي ورازقي، فقال الراضي للشلمغاني: أنت زعمت أنك لا تدعي الربوبية فما هذا؟ فقال: وما عليَّ من قول ابن أبي عون، ثم أحضروا غير مرة وجرت لهم فصول، وأحضرت الفقهاء والقضاة، ثم أفتى الأئمة بإباحة دمه، فأحرق في ذي القعدة وضربت رقبة ابن أبي عون ثم أحرق. (انظر العبر ٢/ ١٤).

وأشار الفقهاء على الراضي بتعجيل قَتْلهما، فصلَبهما ثم أحرقهما بعد ذلك، وطرح رمادهما في الدِّجْلة.

الفصل الحادي عشر
من فصول هذا الباب

في ذكر أصحاب الإباحة من الخُرَّمِيّة، وبيان خروجهم عن جملة فِرَقِ الإسلام

فهؤلاء صنفان: صنف منهم كانوا قبل دولة الإسلام كالمَزْدَكية الذين استباحوا المحرمات، وزعموا أن الناس شُرَكَاء في الأموال والنساء، ودامت فتنة هؤلاء إلى أن قتلهم أنو شروان في زمانه.

والصنف الثاني: الخرمدينية، ظهروا في دولة الإسلام، وهم فريقان بَابَكِيَّة، ومازِيَّارِيّة، وكلتاهما معروفة بالمُحَمَّرة.

فالبابكية منهم: أتباع بَابَك الخُرَّمِي[1] الذي ظهر في جبل البدين بناحية أذربيجان، وكثر بها أتباعُه، واستباحوا المحرَّمات، وقتلوا الكثير من المسلمين، وجَهَّز إليه خُلَفاء بني العباس جيوشاً كثيرة مع أفشين الحاجب، ومحمد بن يوسف الثَّغرِي، وأبي دُلَفَ العِجْلي، وأقرانهم، وبقيت العساكر في وجهه مقدار عشرين

(١) قال في الشذرات: فيها ـ أي سنة اثنين وعشرين ومائتين ـ التقى الأفشين والخرمية لعنهم اللَّه، ونجا بابك، فلم يزل الأفشين يتحيل عليه حتى أسره، وقد عاش هذا الملعون وأفسد البلاد والعباد، وامتدت أيامه نيفاً وعشرين سنة، وأراد أن يقيم ملة المجوس بطبرستان، واستولى على أذربيجان وغيرها، وفي أيامه ظهر الماربان القائم بملة المجوس بطبرستان، وقد بعث المعتصم في أول السنة خزائن أموال الأفشين ليتقوى بها، وكانت ثلاثين ألف درهم، وافتتحت مدينة بابك في رمضان بعد حصار شديد، فاختفى بابك في غيضة في الحصن وأسر جميع خواصه وأولاده، وبعث إليهم المعتصم الأمان فمزقه وسبه، وكان قوي النفس شديد البطش صعب المراس، فطلع من تلك الغيضة في طريق يعرفها في الجبل، وانقلب ووصل إلى جبال أرمينية، فنزل على البطريق سهل فأغلق عليه وبعث يعرف الأفشين، فجاء الأفشينية فتسلموه، وكان المعتصم قد جعل لمن جاء به حياً ألفي ألف درهم، ولمن جاء برأسه ألف ألف درهم، وكان دخوله بغداد يوماً مشهوداً. (انظر شذرات الذهب ٢/ ٤٩).

سنة، إلى أن أخذ بابك وأخوه إسحاق بن إبراهيم وصُلبا بـ: سُرَّ مَنْ رأى في أيام المعتصم، واتُّهِمَ أفْشِين الحاجب بمُمَالأة بابك في حربه، وقتل لأجل ذلك.

وأما المازِيَّارية منهم فهم أتْبَاعُ مَازِيَّار الذي أظهَرَ دين المحمرة بجرجان.

وللبابكية في جبلهم ليلَةُ عيدٍ لهم يجتمعون فيها على الخمر والزَّمْر وتختلط فيها رجالهم ونساؤهم، فإذا أطْفِئَتْ سُرُجُهم ونِيرَانهم افتض فيها الرجال والنساء على تقدير من عَزَّ يَزَّ.

والبابكية ينسبون أصْلَ دينهم إلى أميرٍ كان لهم في الجاهلية اسمه شروين، ويزعمون أن أباه كان من الزنج، وأمه بعض بنات ملوك الفرس، ويزعمون أن شروين كان أفْضَلَ من محمد ومن سائر الأنبياء، وقد بَنَوْا في جبلهم مساجد للمسلمين يؤذِّنُ فيها المسلمون، وهم يعلِّمون أولادهم القرآن، لكنهم لا يصلون في السر، ولا يصومون في شهر رمضان، ولا يَرَوْنَ جهاد الكفرة.

وكانت فتنة مَازِيَّار قد عَظُمَت في ناحيته، إلى أن أخذ في أيام المعتصم أيضاً، وصُلب بـ: سُرَّ مَنْ رأى بحذاء بابَك الخُرَّمي.

وأتباع مازِيَّار اليوم في جبلهم أكَرَة من يليهم من سواد جرجان، يظهرون الإسلام ويضمرون خلافه، واللَّه المستعان على أهل الزيغ والطغيان.

***

الفصل الثاني عشر
من فصول هذا الباب

في ذكر أصحاب التناسخ من أهل الأهواء، وبيان خروجهم عن فرق الإسلام

القائلون بالتناسخ أصناف:

صنف من الفلاسفة، وصنف من السمنية، وهذان المصنفان كانا قبل دولة الإسلام.

وصنفان آخران ظَهَرَا في دولة الإسلام، أحدهما: من جملة القَدَرية، والآخر: من جملة الرافضة الغالية.

فأصحاب التناسخ من السمنية قالوا بقدم العالم، وقالوا أيضاً بإبطال النظر والاستدلال، وزعموا أنه لا معلوم إلا من جهة الحواس الخمس، وأنكر أكثرهم المَعَاد والبَعْثَ بعد الموت، وقال فريق منهم بتناسخ الأرواح في الصُّوَر المختلفة، وأجازوا أن ينقل روح الإنسان إلى كَلْبٍ، وروح الكلب إلى إنسان، وقد حكى فلوطرخس[1] مثل هذا القول عن بعض الفلاسفة، وزعموا أن مَنْ أذْنَبَ في قَالَبٍ نَالَهُ العقاب على ذلك الذنب في قالبٍ آخَرَ، وكذلك القول في الثواب عندهم، ومن أعجب الأشياء دعوى السمنية في التناسخ الذي لا يُعْلم بالحواس، مع قولهم: إنه لا معلوم إلا من جهة الحواس.

وقد ذهبت المَانَوِيَّةُ أيضاً إلى التناسخ، وذلك أن ماني قال في بعض كتبه: إن الأرواح التي تفارق الأجسام نوعان: أرواح الصديقين، وأرواح أهل الضلالة، فأرواح الصدِّيقين إذا فارقت أجسادها سَرَتْ في عمود الصبح إلى النور الذي فوق الفلك، فبقيت في ذلك العالم على السرور الدائم، وأرواح أهل الضلال إذا فارقت الأجساد وأرادت اللحُوقَ بالنور الأعلى رُدَّت منعكسة إلى السفل، فتتناسخ في أجسام الحيوانات إلى أن تَصْفُو من شوائب الظلمة، ثم تلتحق بالنور العالي.

وذكر أصحاب المقالات عن سقراط[2] وأفْلَاطُن[3] وأتباعهما من الفلاسفة

(١) قال الشهرستاني في الملل والنحل: قيل أنه أول من شهر بالفلسفة ونسبت إليه الحكمة، تفلسف بمصر، ثم سار إلى ملطية وأقام بها، وقد يعد من الأساطين. (انظر الملل والنحل ٢/ ٤١٦).

(٢) قال الشهرستاني في الملل والنحل: سقراط بن سفرنيسقوس الحكيم الفاضل الزاهد، من أهل أثينية، وكان قد اقتبس الحكمة من فيثاغورس وأرسالاوس، واقتصر من أصنافها على الإلٰهيات والأخلاقيات، واشتغل بالزهد رياضة النفس وتهذيب الأخلاق، وأعرض عن ملذات الدنيا واعتزل إلى الجبل وأقام في غاربه، ونهى الرؤساء الذين كانوا في زمانه عن الشرك وعبادة الأوثان، فثوروا عليه الفاغة وألجأوا ملكهم إلى قتله، فحبسه الملك ثم سقاه السم. (انظر الملل والنحل ٢/ ٤٠١).

(٣) قال الشهرستاني في الملل والنحل: أفلاطون بن أرسطن بن أرسطوقليس من أثينية، وهو آخر =

أنهم قالوا بتناسخ الأرواح، على تفصيلٍ قد حكيناه عنهم في كتاب: (الملل والنحل).

وقال بعض اليهود بالتناسخ، وزعم أنه وَجَد في كتاب دانيال أن اللَّه تعالى مَسَخَ بختنصر[1] في سبع صور من صور البهائِم والسباعِ، وعَذَّبه فيها كلها، ثم بعثه في آخرها موحداً.

وأما أهل التناسخ في دولة الإسلام فإن البيانية والجناحية والخطَّابية والراوِندية من الروافض الحلولية كلُّها قالت بتناسخ روح الإلٰه في الأئمة بزعمهم، وأول من قال بهذه الضلالة السَّبئيَّة من الرافضة لدعواهم أن علياً صار إلٰهاً حين حل روحُ الإلٰه فيه.

وزعمت البيانية منهم أن روح الإلٰه دارت في الأنبياء، ثم في الأئمة إلى أن صارت في بَيَان بن سمعان.

وادَّعَت الجناحية منهم مثلَ ذلك في عبد اللَّه بن معاوية بن عبد اللَّه بن جعفر.

وكذلك دعوى الخَطَّابية في أبي الخَطَّاب، وكذلك دعوى قوم من الريوندية في أبي مُسْلم صاحب دولة بني العباس.

= المتقدمين الأوائل والأساطين، معروف بالتوحيد والحكمة، ولد في زمان أردشير بن دارا في سنة ست عشرة من ملكه، وفي سنة ست وعشرين من ملكه كان حدثاً متعلماً يتلمذ لسقراط، ولما اغتيل سقراط بالسم ومات قام مقامه وجلس على كرسيه، وقد أخذ العلم من سقراط وطيماوس والغريبين: غريب أثينية وغريب الناطس، وضم إليه العلوم الطبيعية والرياضية. (انظر الملل والنحل للشهر ستاني ٢/ ٤٠٧).

(١) ذكر المسعودي في مروج الذهب أن بختنصر مرزبان العراق وفارس، وهو الذي وطىء الشام وفتح بيت المقدس وسبى بني إسرائيل، وكان من أمره بالشام والمغرب ما قد اشتهر، والعامة تسميه: البخت ناصر، وأكثر الإخباريين والقصاص يغالون في أخباره ويبالغون في وصفه، والمنجمون في زيجاتهم، وأهل التواريخ في كتبهم يجعلونه ملكاً برأسه، وإنما كان مرزباناً وتفسير مرزبان يراد به صاحب رُبع من المملكة وقائد عسكر ووزيراً وصاحب ناحية من النواحي ووواليها، وقد كان حمل سبايا بني إسرائيل إلى الشرق وتزوج منهن امرأة يقال لها دينارد، فكانت سبب رد بني إسرائيل إلى بيت المقدس. وقيل أن دينارد أولدها لهراسب بن كشتاسب وقيل غير ذلك من الوجوه، . (انظر مروج الذهب ١/ ٢٥١).

فهؤلاء يقولون بتناسخ روح الإلٰهِ دون أرواح الناس، تعالى اللَّه عن ذلك علواً كبيراً.

وأما أهل التناسخ من القَدَرية فجماعة، منهم: أحمد بن خابط، وكان معتزلياً منتسباً إلى النَّظَّام، وكان على بِدْعَته في الطَّفْرة، وفي نفي الجزء الذي لا يتجزأ، وفي نفي قدرة اللَّه تعالى على الزيادة في نعيم أهل الجنة أو في عذاب أهل النار، وزاد على النظام في ضلالته في التناسخ.

ومنهم: أحمد بن أيوب بن بانوش، وكان تلميذ أحمد بن خابط في التناسخ، لكنهما اختلفا بعد في كيفية التناسخ.

ومنهم أحمد بن محمد القحطي، وافتخر بأنه كان منهم في التناسخ والأعتزال.

ومنهم: عبد الكريم بن أبي العوجاء وكان خالَ مَعْنِ بن زائدة[1]، وجمع بين أربعة أنواع من الضلالة، أحدها: أنه كان يَرَى في السرِّ دينَ المانَوية من الثَّنَوية، والثاني: قوله بالتناسخ، والثالث: مَيْلُه إلى الرافضة في الإمامة، والرابع: قوله بالقَدَرِ في أبواب التعديل والتجوير.

وكان وضَعَ أحاديث كثيرة بأسانيدَ يغتر بها مَنْ لا معرفة له بالجرح والتعديل، وتلك الأحاديث التي وضعها كلها ضلالات في التشبيه والتعطيل، وفي بعضها تغيير

(١) ذكر ابن العماد الحنبلي في شذرات الذهب أن معن بن زائدة الشيباني الأمير بسجستان قتلته الخوارج غيلة أي سنة إحدى وخمسين ومائة ـ وكان قد وليها عام أول، وكان أحد الأبطال والأجواد، وكان مع بني أمية متنقلاً في ولاياتهم موالياً لابن هبيرة، وقاتل معه المنصور، فلما قتل ابن هبيرة خاف معن فاختفى، فلما كان يوم الهاشمية وهو يوم مشهود ثار فيه جماعة من أهل خراسان على المنصور، وكانت وقعتهم بالهاشمية التي بناها السفاح بقرب الكوفة، وكان معن متوارياً بالقرب منهم، فخرج متنكراً وقاتل قتالاً شديداً أبان فيه عن نجدته وفرقهم، فلما أفرج عن المنصور قال له: من أنت؟ فكشف اللثام وقال: أنا طليبك يا أمير المؤمنين، فأمنه وأكرمه وصار من خواصه. (انظر شذرات الذهب ١/ ٢٣١).

أحكام الشريعة، وهو الذي أفْسَدَ على الرافضة صَوْمَ رمضان بالهلال، ورَدَّهم عن اعتبار الأهِلَّةِ بحسابٍ وضَعه لهم، ونسب ذلك الحساب إلى جَعْفر الصادق، ورفع خبر هذا الضال إلى أبي جعفر محمد بن سليمان عامل المنصور على الكوفة، فأمر بقتله، فقال: لن يقتلوني، لقد وضعت أربعة آلاف حديث أحللت بها الحرام وحرمت بها الحلال، وفطرت الرافضة في يوم من أيام صومهم، وصومتهم في يوم من أيام فطرهم.

وتفصيل رأي هؤلاء في التناسخ أن أحمد بن خابط زعم أن اللَّه تعالى أبْدَعَ خلقة أصحابه سالمين عُقَلاَء بالغين، في دارٍ سوى الدنيا التي هم فيها اليوم، وأكْمَلَ عقولهم، وخَلَق فيهم معرفته والعلم به، وأسبغ عليهم نعمه.

وزعم أن الإنسان المأمورَ المنهيَّ المنعَمَ عليه هو الروح التي في الجسم، وأن الأجسام قوالبُ للأرواح.

وزعم أن الروح هي الحي القادر العالم، وأن الحيوان كله جنس واحد.

وزعم أيضاً أن جميع أنواع الحيوان محتمل للتكليف، وكان قد توجَّه الأمر والنهيُ عليهم على اختلاف صُوَرهم ولغاتهم، وقال: إن اللَّه تعالى لما كلفهم في الدار التي خلقهم فيها شكروه على ما أنعم به عليهم، فأطاعه بعضهم في جميع ما أمرهم به، وعصاه بعضهم في جميع ما أمرهم به، فمن أطاعه في جميع ما أمره به أقَرَّهُ في دار النعيم التي ابتدأه فيها، ومن عَصَاه في جميع ما أمره به أخرجه من دار النعيم إلى دار العذاب الدائم وهي النار، ومن أطاعه في بعض ما أمره به وعَصَاه في بعض ما أمره به أخرجه إلى الدنيا، وألبسه بعضَ هذه الأجسام التي هي القوالبُ الكثيفة، وابتلاه بالبأساء والضرَّاء، والشدة والرخاء، واللذات والآلام، في صُوَر مختلفة من صور الناس والطيور والبهائم والسباع والحشرات وغيرها، على مقادير ذُنُوبهم ومعاصيهم في الدار الأولى التي خلقهم فيها، فمن كانت معاصيه في تلك الدار أقلَّ وطاعاتُه أكْثَرَ كانت صورتُه في الدنيا أحسن، ومن كانت طاعاتُه في تلك

الدار أقلَّ ومعاصيه أكْثَرَ صار قالبه في الدنيا أقْبَحَ.

ثم زعم أن الروح لا يزال في هذه الدنيا يتكرر في قَوَالِبَ وصُوَر مختلفة ما دامت طاعته مَشُوبَةً بذنوبه، وعلى قدر طاعاته وذنوبه يكون منازل قَوَالِبه في الإنسانية والبهيمية، ثم لا يزال من اللَّه تعالى رسولٌ إلى كل نوعٍ من الحيوان، وتكليف للحيوان أبداً إلى أن يتمحَّضَ عمل الحيوان طاعاتٍ فيردَّ إلى دار النعيم الدائم وهي الدار التي خلق فيها، أو يتمحض عملُه معاصيَ فينقلَ إلى النار الدائِمِ عذابُهَا، فهذا قول ابن خابط في تناسخ الأرواح.

وقال أحمد بن أيوب بن بانوش: إن اللَّه تعالى خلق الخلق كله دَفْعَةً واحدةً، وحكى عنه بَعْضُ أصحابه أن اللَّه تعالى خلق أولاً الأجزاء المقدرة التي كلُّ واحد منها جزء لا يتجزأ، وزَعَم أن تلك الأجزاء كانت أحياء عاقلة، وأن اللَّه تعالى كان قد سَوَّى بينهم في جميع أمورهم؛ إذا لم يستحق واحدٌ منهم تفضيلاً على غيره، ولا كان من أحد منهم جناية يؤخَّرُ لأجلها عن غيره، قال: ثم إنه خَيَّرهم بين أن يمتحنهم بعد إسباغ النعمة عليهم بالطاعات ليستحقوا بها الثواب عليها، لأن منزلة الاستحقاق أشرفُ من منزلة التفضيل، وبين أن يتركهم في تلك الدار تفضلاً عليهم بها، فاختار بعضُهم المحنَةَ، وأباها بعضهم، فمن أباها تَرَكَه في الدار الأولى على حاله فيها، ومن اختار الامتحانَ امتحنه في الدنيا، ولما امتحن الذين اختاروا الامتحان عَصَاه بعضهم وأطاعه بعضُهم، فمن عصاه حَطَّه إلى رتبةٍ هي دون المنزلة التي خُلقوا فيها، ومن أطاعه رَفعه إلى رتبة أعلى من المنزلة التي خُلِق عليها، ثم كررهم في الأشخاص والقوالب إلى أن صار قومٌ منهم أناساً، وآخرون صاروا بهائم أو سباعاً بذنوبهم، ومن صار منهم إلى البهيمية ارتفع عنه التكليف ـ وكان يخالف ابن خابط في تكليف البهائم ـ ثم قال في البهائم: إنها لا تزال تتردَّدُ في الصور القبيحة وتَلْقَى المكارهَ من الذَّبْح والتسخير إلى أن تستوفي ما تستحقُّ من العقاب بذنوبها، ثم تعاد إلى الحالة الأولى، ثم يخيرهم اللَّه تعالى تخييراً ثانياً في الامتحان، فإن اختاروه أعاد تكليفهم على الحال التي وصفناها، وإن امتنعوا منه تُرِكوا على حالهم غير مكلفين، وزعم أن

من المكلفين مَن يعمل الطاعات حتى يستحق أن يكون نبياً أو مَلَكاً فيفعل اللَّه تعالى ذلك به.

وزعم القحطي منهم أن اللَّه تعالى لم يَعْرض عليهم في أول أمرهم التَّكليفَ، بل هم سألوه الرفع عن درجاتهم والتفاضُلَ بينهم، فأُخبرهم بأنهم لا يتصفون بذلك إلا بعد التكليف والامتحان، وأنهم إن كُلِّفوا فعَصَوْا استحقوا العقاب، فأبوا الامتحان، قال: فذلك قوله: ﴿**إنَّا عَرَضْنَا الأمَانَةَ عَلَى السَّمٰواتِ وَالأرْضِ وَ الْجِبال فأَبَيْنَ أَنْ يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْها وَحَمَلَهَا الإِنْسَانُ إِنَّهُ كانَ ظَلُوماً جَهُولاً**﴾ (١).

وزعم أبو مُسْلم الخراساني: أن اللَّه تعالى خَلَقَ الأرواح وكلَّفها، فمنها مَنْ علم أنه يُطيعه، ومنها من علم أنه يَعْصيه، وأن العُصَاة إنما عَصَوْه ابتداء فعوقبوا بالنسخ والمسخ في الأجساد المختلفة على مقادير ذنوبهم.

فهذا تفصيل قول أصحاب التناسخ، وقد نَقَضْنَا عللهم في كتاب (الملل والنحل) بما فيه كفاية.

الفصل الثالث عشر
من فصول هذا الباب

في بيان ضلالات الخابطية من القَدَرية، وبيان خروجهم عن فرق الأمة.

هؤلاء أتباع أحمد بن خابط القَدَري وكان من أصحاب النَّظَّام في الإعتزال، وقد ذكرنا قوله في التناسخ قبل هذا، ونذكر في هذا الفصل ضلالاته في توحيد الصانع.

وذلك أن ابن خابط، وفَضْلاً الحدثي زعماً للخلق رَبَّيْنِ وخالقين، أحدهما قديمٌ وهو اللَّه سبحانه، والآخر مخلوق وهو عيسى ابن مريم، وزعَما أن المسيحَ

(١) سورة الأحزاب، الآية: ٧٢.

ابنُ اللَّه على معنًى دون الولادة، وزعما أيضاً أن المسيح هو الذي يحاسب الخلق في الآخرة، وهو الذي عَنَاه اللَّه بقوله: ﴿وَجَاءَ رَبُّكَ وَالْمَلَكُ صفًّا صفًّا﴾[1] وهو الذي يأتي ﴿فِي ظُلَلٍ مِنَ الْغَمَامِ وَالْمَلَائِكَةُ وَقُضِيَ الأَمْرُ وَإِلَى اللَّه تُرْجَعُ الأُمُورُ﴾[2]. وهو الذي خلق آدم على صورة نفسه، وذلك تأويلُ ما روي أن اللَّه تعالى خلق آدم على صورته، وزعم أنه هو الذي عَنَاه النبي ﷺ بقوله: «تَرَوْنَ رَبَّكم كَمَا تَرَوْنَ القَمَرَ لَيْلَةَ الْبَدْرِ» وهو الذي عَنَاه بقوله: «إنَّ اللَّه تَعَالَى خَلَقَ الْعَقْلَ فَقَالَ له: أقْبِلْ، فأقْبَلَ، وقال له: أدْبِر، فأَدْبَرَ، فقال: ما خَلَقْتُ خَلْقاً أَكْرَمَ مِنْكَ، وبِكَ أعْطِي وَبِكَ آخُذُ» وقالا: إن المسيح تَدَرَّع جسَداً، وكان قبل التدرع عَقْلاً.

قال عبد القاهر: قد شارك هذان الكافران الثَّنَوِيَّةَ والمجوسَ في دعوى خالقَيْنِ، وقولهما شر من قولهم؛ لأن الثنوية والمجوس أضافُوا اختراع جميع الخيرات إلى اللَّه تعالى، وإنما أضافوا فعلَ الشرور إلى الظُّلْمة وإلى الشيطان، وأضاف ابن خابط وفَضْلٌ الحَدَثي فعل الخيرات كلها إلى عيسى ابن مريم، وأضافا إليه محاسبَةَ الخلق في الآخرة، والعجب في قولهما إن عيسى خلق جَدَّه آدَمَ عليه السلام، فيا عجباً من فَرْع يخلق أصله، ومَنْ عدَّ هذين الضالين من فرق الإسلام كمن عدَّ النصارى من فرق الإسلام.

الفصل الرابع عشر
من فصول هذا الباب

في ذكر الحمارية من القَدَرية، وبيان خُرُوجهم عن فِرَقِ الأمة

هؤلاء قوم من معتزلة عَسْكر مكرم، اخْتَارُوا من بِدَعِ أصناف القَدَرية ضلالات مخصوصة.

فأخذوا من ابن خابط قولَه بتناسخ الأرواح في الأجساد والقوالب.

---

(١) سورة الفجر، الآية: ٢٢.

(٢) سورة البقرة، الآية: ٢١٠.

وأخذوا من عَبَّاد بن سُلَيمان الضَّمْرِي قوله بأن الذين مَسَخَهم اللَّه قِرَدَةً وخنازير كانوا قبل المَسْخ ناساً، وكانوا معتقدين للكفر بعد المسخ.

وأخذوا من جَعْد بن دِرْهم الذي ضَحَّى به خالد بن عبد اللَّه القَسْرِي قوله بأن النظر الذي يُوجِبُ المعرفة تكون تلك المعرفة فعلاً لا فاعل لها.

ثم زعموا بعد ذلك أن الخمر ليست من فعل اللَّه تعالى، وإنما هي من فعل الخَمَّار، لأن اللَّه تعالى لا يفعل ما يكون سبب المعصية.

وزعموا أن الإنسان قد يَخْلُق أنواعاً من الحيوانات، كاللحم إذا دفنَه الإنسان أو يضعه في الشمس فيدود، زعموا أن تلك الدِّيدَانَ من خلق الإنسان، وكذلك العَقَارب التي تظهر من التبن تحت الآجُرّ زعموا أنها من اختراع من جَمَع بين الآجُرِّ والتبن.

وهؤلاء شَرٌّ من المجوس الذين أضافوا اختراع الحيات والحشرات والسموم إلى الشيطان، ومن عَدَّهم من فِرَقِ الأمة كمن عَدَّ المجوس من فرق الأمة.

الفصل الخامس عشر
من فصول هذا الباب

في ذكر اليزيدية من الخوارج، وبيان خروجهم عن فِرَقِ الإسلام

هؤلاء أتباع يزيد بن أبي أنيسة الخارجي وكان من البَصْرَة، ثم انتقل إلى جُورَ من أرض فارس، وكان على رأي الإباضية من الخوارج، ثم إنه خرج عن قول جميع الأمة؛ لدعواه أن اللَّه عز وجلّ يبعث رسولاً من العَجَم، ويُنْزِل عليه كتاباً من السماء، وينسخ بَشْرْعه شريعةَ محمدٍ ﷺ، وزعم أن أتباع ذلك النبي المنتظَرِ هم الصابئون المذكورون في القرآن، فأما المُسَمَّوْنَ بالصابئة من أهل واسط وحَرَّان فما هم الصَابئون المذكورون في القرآن. وكان ـ مع هذه الضلالة ـ يتولَّى مَنْ شهد لمحمد ﷺ بالنبوة من أهل الكتاب وإن لم يدخل في دينه، وسَمَّاهم بذلك مؤمنين، وعلى هذا القول يجب أن يكون العيسوية والموشكانية من اليهود مؤمنين، لأنهم

أقَرُّوا بنبوة محمد عليه السلام ولم يدخلوا في دينه.

وليس بجائز أن يُعَدَّ في فِرَقِ الإسلام من يعدُّ اليهود من المسلمين، وكيف يعد من فرق الإسلام من يقول بنسخ شريعة الإسلام؟!

الفصل السادس عشر
من هذا الباب

في ذكر المَيْمُونية من الخوارج، وبيان خروجهم عن فِرَق الإسلام

هؤلاء أتباع رجل من الخوارج العَجَاردة كان اسمه مَيْمُوناً، وكان على مذهب العَجَاردة من الخوارج، ثم إنه خالف العجاردة في الإرادة والقَدَر والاستطاعة، وقال في هذه الأبواب الثلاثة بقول القَدَرية المعتزلة عن الحق. وزعم ـ مع ذلك ـ أن أطفال المشركين في الجنة.

ولو بقي ميمون هذا على هذه البِدَع التي حكيناها عنه ولم يزد عليها ضلالة سواها لنسبناه إلى الخوارج؛ لقوله بتكفير علي وطلحة والزبير وعائشة وعثمان، وقوله بتكفير أصحاب الذنوب، وإلى القَدَرية لقوله في باب الإرادة والقدر والاستطاعة بأقوال القَدَرية فيها.

ولكنه زاد على القَدَرية، وعلى الخوارج، بضلالة اشتقَّها من دين المجوس، وذلك أنه أباح نكاح بنات الأولاد من الأجداد، وبنات أولاد الإخوة والأخوات، وقال: إنما ذكر اللَّه تعالى في تحريم النساء بالنسب الأمهات والبنات والأخوات والعمَّات والخالات وبنات الأخ وبنات الأخَوَات ولم يذكر بنات البنات، ولا بنات البنين، ولا بنات أولاد الإخوة، ولا بنات أولاد الأخوات، فإن طَرَدَ قياسه في أمهات الأمهات وأمهات الآباء والأجداد إنمحض في المجوسية، وإن لم يُجِز نكاح الجدات وقاسَ الجداتِ على الأمهات لزمه قياسُ بنات الأولاد، على بنات الصلب، وإن لم يَطْرُد قياسَه في هذا الباب نقض اعتلاله.

وحكى الكرابيسيُّ عن الميمونية من الخوارج أنهم أنكروا أن تكون سورة يوسف من القرآن، ومنكر بعض القرآن كمنكر كله.

ومن استحلَّ بعض ذوات المحارم في حكم المجوسِ، ولا يكون المجوسيّ معدوداً فيَ فِرَقِ الإسلام.

الفصل السابع عشر
من فصول هذا الباب

في ذكر الباطنية، وبيان خروجهم عن جميع فِرَقِ الإسلام

اعلموا ـ أسعدكم اللَّه ـ أن ضرر الباطنية على فِرَقِ المسلمين أعْظَمُ من ضرر اليهود والنصارى والمجوس عليهم، بل أعظم من مَضَرَّة الدهرية وسائر أصناف الكفَرَةِ عليهم، بل أعظم من ضرر الدجَّال الذي يظهر في آخر الزمان؛ لأن الذين ضَلوا عن الدين بدعوة الباطنية من وقت ظهور دعوتهم إلى يومنا أكْثَرُ من الذين يضلون بالدجال في وقت ظهوره؛ لأن فتنة الدجال لا تزيد مدتها على أربعين يوماً، وفضائح الباطنية أكثر من عدد الرمل والقَطْرِ.

وقد حكى أصحاب المقالات أن الذين أسَّسُوا دعوة الباطنية جماعة، منهم: ميمون بن دَيْصَان، المعروف بالقَدَّاح وكان مولًى لجعفر بن محمد الصادق، وكان من الأهواز، ومنهم: محمد بن الحسين الملقب بدندان، اجتمعوا كلُّهم مع مَيْمُون بن دَيْصَان في سجن والي العراق، فأسَّسُوا في ذلك السجن مذاهب الباطنية، ثم ظهرت دعوتهم بعد خَلاَصهم من السجن من جهة المعروف بدندان، وابتدأ بالدَّعْوة في ناحية توز[1]، فدخل في دينه جماعة من أكراد الجبل مع أهل الجبل المعروف بالبدين، ثم رَحَل ميمون بن ديصان إلى ناحية المغرب، وانتسب في تلك الناحية إلى عَقيل بن أبي طالب، وزعم أنه من نسله، فلما دخل في دعوته قوم من

(١) توذ (بالذال المعجمة): من قرى سمرقند، على ثلاثة فراسخ منها. (انظر مراصد الاطلاع ١/ ٢٨٠).

غُلاَة الرَّفْض والحُلُولية منهم ادعى أنه من ولد محمد بن إسماعيل بن جعفر الصادق، فقبل الأغبياءُ ذلك منه على جهلٍ منهم بأن محمد بن إسماعيل بن جعفر مات ولم يُعْقِبْ عند علماء الأنساب.

ثم ظهر في دعوته إلى دين الباطنية رجلٌ يقال له: حَمْدَان قِرْمط، لقب بذلك لقَرْمَطة في خطه أوْ في خَطْوه، وكان في ابتداء أمره أكاراً[1] من أكَرَة سواد الكوفة، وإليه تنسب القَرَامطة.

ثم ظهر بعده في الدعوة إلى البدعة أبو سعيد الجَنَّابي، وكان من مستجيبة حَمْدان، وتغلَّب على ناحية البحرين، ودخل في دعوته بنو سنبر.

ثم لما تمادت الأيَّامُ بهم ظهر المعروفُ منهم بسعيد بن الحسين بن أحمد بن عبد اللَّه بن مَيْمُون بن دَيْصَان القَدَّاح، فغير اسم نفسه ونسبه، وقال لأتباعه: أنا عبيد اللَّه بن الحسين بن محمد بن إسماعيل بن جعفر الصادق، ثم ظهرت فتنته بالمغرب، وأولادُه اليوم مستولونَ على أعمال مصر.

وظهر منهم المعروف بابن زكرويه بن مهرويه الدنداني، وكان من تلامذة حمدان قرمط، وظهر مأمون أخو حمدان قِرْمِط بأرض فارس، وقرامطةُ فارس يقال لهم: المأمونية، لأجل ذلك.

ودخل أرض الدَّيْلَم[2] رجل من الباطنية يعرف بأبي حاتم، فاستجاب له جماعة من الديلم منهم أسفار بن شرويه.

وظهر بنيسابور داعية لهم يعرف بالشعراني، فقتل بها في ولاية أبي بكر بن حجاج عليها، وكان الشعراني قد دَعَا الحسين بن علي المروزي، وقام بدعوته بعده

(١) الأكار: الحراث، قال الجوهري: الأكرة جمع أكار، كأنه جمع آكر في التقدير، والمؤاكرة: المخابرة، وفي حديث قتل أبي جهل: فلو غير أكار قتلني، الأكار: الزراع، أراد به إحتقاره وانتقاصه كيف مثله يقتله مثله. (انظر لسان العرب ٤/ ٢٦).

(٢) الديلم: جيل سموا بأرضهم، وهم في جبال قرب جيلان، والديلم ماء لبني عبس، وقيل بأرض اليمامة. (انظر مراصد الاطلاع ٢/ ٥٨١).

محمد بن أحمد النسفي داعية أهل ما وراء النهر، وأبو يعقوب السجزي المعروف ببندانه، وصَنَّف النسفي لهم كتاب (المحصول) وصنف لهم أبو يعقوب كتاب (أساس الدعوة) وكتاب (تأويل الشرائع) وكتاب (كَشْف الأسرار) وقُتِل النسفي والمعروف ببندانه على ضلالتهما.

وذكر أصحابُ التواريخ أن دعوة الباطنية ظهرت أولاً في زمان المأمون، وانتشرت في زمان المعتصم، وذكروا أنه دخل في دعوتهم الأفْشِينُ صاحبُ جيش المعتصم، وكان مراهناً لبابك الخرَّمي، وكان الخرَّمي مستعصياً بناحية البدين، وكان أهل جَبَلة خرمية على طريقة المزدقية، فصارت الخرمية مع الباطنية يداً واحدة، واجتمع مع بَابَك من أهل البدين وممن انضمَّ إليهم من الديلم مقدار ثلاثمائة ألف رجل، وأخرج الخليفة لقتالهم الأفْشينَ، فظنَّه ناصحاً للمسلمين، وكان في سره مع بابك، وتوانى في القتال معه، ودلَّه على عَوْرات عساكر المسلمين، وقتل الكثير منهم، ثم لحقت الأمْدَادُ بالأفشين، ولحق به محمد بن يوسف الثَّغْري، وأبو دُلَف القاسمُ بن عيسى العِجْلي، ولحق به بعد ذلك قُوَّادُ عبد اللَّه بن طاهر، واشتدت شوكة البابكية والقرامطة على عسكر المسلمين، حتى بَنَوْا لأنفسهم البلدة المعروفة ببرزند[1] خوفاً من بلاد البابكية، ودامت الحربُ بين الفريقين سنين كثيرة، إلى أن أظفر اللَّه المسلمين بالبابكية، فأسِرَ بَابَكٌ وصُلِب بـ: سُرَّ مَنْ رأى[2] سنَةَ ثلاثٍ وعشرين ومائتين، ثم أُخِذَ أخوه إسحاق، وصُلِب ببغداد مع مَازِيَّار صاحب المحمرة بطبرستان[3] وجرجان، ولما قتل بابك ظهر للخليفة غَدْر الأفشين وخيانته للمسلمين في حروبه مع بابك، فأمر بقتله وصلبه، فصلب لذلك.

(١) بَرْزَنْد (بالدال المهملة). بلد من نواحي تفليس من أعمال جُرزاذ من أرمينية الأولى، وقال: الإصطخري: هي من أذربيجان. (انظر مراصد الاطلاع ١/١٨٣).

(٢) سر من رأى (بضم أوله، ويفتح)، قيل: اسمها قديماً: ساميرا، فلما بناها المعتصم سماها: سر من رأى. (انظر مراصد الاطلاع ٢/٧٠٩).

(٣) طبرستان (بفتح أوله وثانيه وكسر الراء). بلاد واسعة ومدن كثيرة يشملها هذا الاسم، يغلب عليها الجبال، وهي تسمى بمازندران، وهي مجاورة لجبال جيلان وديلمان، وهي من الري وقومس. (انظر مراصد الاطلاع ٢/٨٧٨).

وذكر أصحابُ التواريخ أن الذين وضعوا أساس دين الباطنية كانوا من أولاد المجوس، وكانوا مائلين إلى دين أسلافهم، ولم يَجْسُروا على إظهاره خوفاً من سيوف المسلمين، فوضع الأغمار منهم أُسُساً مَنْ قَبِلها منهم صار في الباطن إلى تفضيل أديان المجوس، وتأوّلوا آيات القرآن وسُنَن النبي عليه السلام على موافقة أسسهم، وبيان ذلك أن الثَّنَوِيَّةَ زعمت أن النور والظلمة صانعان قديمان، والنور منهما فاعل الخيرات والمنافع، والظلام فاعل الشرور والمَضَارِّ، وأن الأجسام ممتزجة من النور والظلمة، وكل واحد منهما مشتمل على أربع طبائع وهي: الحرارة، والبرودة، والرطوبة، واليبوسة، والأصلان الأولان مع الطبائع الأربع مُدَبِّراتُ هذا العالم، وشاركهم المجوسُ في اعتقاد صانعين، غير أنهم زعموا أن أحد الصانعين قديم، وهو الإلَهُ الفاعل للخيرات، والآخر شَيْطَان مُحْدَث فاعل للشرور، وذكر زعماء الباطنية في كتبهم أن الإلَهَ خلَقَ النفس؛ فالإلَه هو الأول، والنفس هو الثاني، وهما مدبرا هذا العالم، وسموهما الأول والثاني، وربما سموهما العقل والنفس، ثم قالوا: إنهما يُدَبِّرَانِ هذا العالم بتدبير الكواكب السبعة والطبائع الأول، وقولهم: إن الأول والثاني يدبران العالم، هو بعينه قول المجوس بإضافة الحوادث لصانعين: أحدهما قديمٌ، والآخر محدَث، إلا أن الباطنية عَبَّرَتْ عن الصانعين بالأول والثاني، وعبر المجوس عنهما بيَزْدَان وأهْرَمَن، فهذا هو الذي يدور في قلوب الباطنية، ووَضَعُوا أساساً يؤدِّي إليه.

ولم يمكنهم إظهار عبادة النيران، فاحتالوا بأن قالوا للمسلمين: ينبغي أن تجمَّرَ المساجدُ كلها، وأن تكون في كل مسجد مجمرة يوضع عليها النِّدُّ والعُودُ في كل حال، وكانت البَرَامكة قد زَيَّنُوا للرشيد أن يتخذ في جَوْف الكعبة مجمرة يتبخَّر عليها العود أبداً، فعلم الرشيد أنهم أرادوا من ذلك عبادة النار في الكعبة، وأن تصير الكعبةُ بيت نار، فكان ذلك أحَدَ أسباب قَبْض الرشيد على البرامكة.

ثم إن الباطنية لما تأولَتْ أصولَ الدين على الشرك احتالت أيضاً لتأويل أحكام الشريعة على وجوه تؤدِّي إلى رَفْع الشريعة أو إلى مثل أحكام المجوس، والذي يدلُ

على أن هذا مرادهم بتأويل الشريعة أنهم قد أباحُوا لأتباعهم نكاح البنات والأخوات، وأباحوا شرب الخمر وجميع اللذات.

ويؤكد ذلك أن الغُلَام الذي ظهر منهم بالبحرين والأحساء بعد سليمان بن القِرْمِطِيّ سَنَّ لأتباعه اللواط، وأوجب قَتْلَ الغلام الذي يمتنع على من يريد الفجور به، وأمر بقَطْع يد من أطفأ ناراً بيده، وبقطع لسان من أطفأها بنفخِه، وهذا الغلام هو المعروف بابن أبـي زكريا الطامي، وكان ظهورُه في سنة تسعَ عشَرةَ وثلاثمائة، وطالت فتنته إلى أن سَلَّط اللَّه تعالى عليه مَنْ ذَبَحه على فراشه.

ويؤكد ما قلناه من مَيْل الباطنية إلى دين المجوس أنّا لا نجد على ظهر الأرض مجوسياً إلا وهو مُوَادٌّ لهم، منتظر لظهورهم على الديار، يظنون أن المُلْكَ يعود إليهم بذلك، وربما استدلَّ أغمارهم على ذلك بما يرويه المجوس عن زَرَادَشْت أنه قال لكشتاسف: إن المُلْك يزول عن الفرس إلى الروم واليونانية، ثم يعود إلى الفرس، ثم يزول عن الفرس إلى العَرَب، ثم يعود إلى الفرس، وساعَدَهُ جاماسب المنجم على ذلك، وزعم أن المُلْكَ يعود إلى العجم لتمام ألف وخمسمائة سنة من وقت ظهور زرادشت.

وكان في الباطنية رجل يعرف بأبـي عبد اللَّه العردي يَدَّعي علم النجوم، ويتعصب للمجوس، وصَنَّف كتاباً وذكر فيه أن القرن الثامن عشر من مولد محمدٍ ﷺ يوافق الألف العاشر، وهو نَوْبة المشتري والقَوْس، وقال: عند ذلك يخرج إنسان يُعيدُ الدولة المجوسية، ويستولي على الأرض كلها، وزعم أنه يملك مدة سَبْع قرانات، وقالوا: قد تحقق حكم زرادشت وجاماسب في زوال ملك العجم إلى الروم واليونانية في أيام الإسكندر، ثم عاد إلى العجم بعد ثلاثمائة سنة، ثم زال بعد ذلك ملك العجم إلى العرب، وسيعود إلى العجم لتمام المدة التي ذكرها جاماسب، وقد وافق الوقت الذي ذكروه أيام المكتفي والمقتدر، وأخلف موعودهم، وما رجع المُلْكُ فيه إلى المجوس، وكان القرامطة قبل هذا الميقات يتواعَدُونَ فيما بينهم ظهور المنتظر في القرن السابع في المثلثة النارية.

وخرج منهم سليمان بن الحسن من الأحساء على هذه الدعوى، وتعرض للحجيج، وأسْرَفَ في القتل منهم، ثم دخل مكة وقتل مَنْ كان في الطواف، وأغار على أستار الكعبة، وطَرح القتلى في بئر زمزم، وكسر عَسَاكر كثيرة من عساكر المسلمين، وانهزم في بعض حروبه إلى هجر، فكتب للمسلمين قصيدة يقول فيها:

أغَرَّكُمُ مني رجوعي إلى هَجَرْ ... وعَمَّا قليلٍ سَوْف يأتيكُمُ الخبَرْ
إذا طَلَعَ المرِّيخُ في أرض بابل ... وقَارَنَهُ النجمان فالحَذَرَ الحذر
ألَسْتُ أنا المذكور في الكُتْبِ كلها ... ألَسْتُ أنا المبعوث في سُورَةِ الزُّمَرْ
سأمْلِكُ أهْلَ الأرض شَرْقاً ومَغْرِباً ... إلى قَيْرَوَانِ الرُّوم وَالتُّرْك والْخَزَرْ

وأراد بالنجمين زُحَل والمشتري، وقد وجد هذا القران في سني ظهوره، ولم يملك من الأرض شيئاً غير بلدته التي خرج منها وطَمِعَ في أن يملك سبع قرانات وما ملك سبع سنين، بل قتل بهيت، رمته امرأة من سَطْحها بِلَبِنَة على رأسه فدمَغَته، وقتيل النساء أخسُّ قتيل وأهوَنُ فَقِيد.

وفي آخر سنة ألف ومائتين وأربعين للإسكندر تَمّ من تاريخ زَرَادشتَ ألفٌ وخمسمائة سنة، وما عاد فيها ملك الأرض إلى المجوس، بل اتَّسَع بعدها نطاقُ الإسلام في الأرض، وفتح اللّه تعالى للمسلمين بعدها بلاد بلاساغون[1]، وأرض التبت، وأكثر نواحي الصين، ثم فتح لهم بعدها جميعَ أرض الهند من لفات[2] إلى قنوج[3]، وصارت أرض الهند إلى سيتر سيقا بحرها من رقعة الإسلام في أيام يمين الدولة أمين الملة محمود بن سبكتكين[4] رحمه اللّه، وفي هذا رَغمُ ألوفِ الباطنية

(١) بلاساغون (السين مهملة والغين معجمة): بلد عظيم في ثغور الترك، وراء نهر سيحون قريب من كاشغر. (انظر مراصد الأطلاع ١/ ٢١٥).
(٢) لفات (بضم أوله وآخره تاء مثناة) من ديار مراد. (انظر مراصد الاطلاع ٣/ ١٢٥).
(٣) قنوج (بفتح أوله وتشديد ثانيه وآخره جيم): موضع في بلاد الهند. (انظر مراصد الاطلاع ٣/ ١١٢٩).
(٤) السلطان محمود بن سبكتكين سيف الدولة أبو القسم ابن الأمير ناصر الدولة أبي منصور، كان أبوه أميراً للغزاة الذين يغيرون من بلاد ما وراء النهر على أطراف الهند، فأخذ عدة حصون وقلاع، وافتتح =

والمجوس الجاماسبية الذين حكموا بعَوْد الملك إليهم، فذاقوا وَبالَ أمرهم، وكان عاقبة أمانيهم بُوراً بحمد اللَّه ومَنِّه.

ثم إن الباطنية خرج منهم عُبَيْدُ اللَّه بن الحسين بناحية القَيْرَوَان وخَدَعَ قوماً من كتامة وقوماً من المَصَامِدة، وشرذمة من أغتام بربر بحَيلٍ ونيرنجات أظهرها لهم كرؤية الخيالات بالليل من خلف الرداء والإزار، وظن الأغمار أنها معجزة له فتبعوه لأجلها على بدعته، فاستولى بهم على بلاد المغرب، ثم خرج المعروفُ منهم بأبـي سعيد الحسن بن بَهْرام على أهل الأحساء والقطيف والبحرين فأتى بأتباعه على أعدائه، وسبى نساءهم وذراريهم، وأحرق المصاحف والمساجد، ثم استولى على هَجَر، وقتل رجالها، واستعبد ذراريهم ونساءهم، ثم ظهر المعروفُ منهم بالصناديقيّ باليمن وقتل الكثير من أهلها، حتى قتل الأطفال والنساء، وانضمَّ إليه المعروف منهم بابن الفضل في أتباعه، ثم إن اللَّه تعالى سَلَّط عليهما وعلى أتباعهما الأكَلَة والطاعون فماتوا بهما.

ثم خرج بالشام حفيدٌ لميمون بن دَيْصَان يقال له: أبو القاسم بن مهرويه،

= ناحية بست وكان كرامياً، وأما محمود فافتتح غزنة ثم بلاد ما وراء النهر، ثم استولى على سائر خراسان، وعظم ملكه ودانت له الأمم، وفرض على نفسه غزو الهند كل سنة، ففتتح منها بلاداً واسعة، وكان ذا عزم وصدق في الجهاد، قال عبد الغافر الفارسي: كان صادق النية في إعلاء كلمة اللَّه تعالى، مظفراً في غزواته، ما خلت سنة من سني ملكه عن غزوة أو سفرة، وكان ذكياً بعيد الغور موفق الرأي، وكان مجلسه مورد العلماء. قال ابن خلكان: وملك بلاد خراسان وانقطعت الدولة السامانية منها، وذلك في سنة تسع وثمانين وثلاثمائة، واستثبت له الملك، وسير له الإمام القادر باللَّه خلعة السلطنة، ولقبه بيمين الدولة وأمين الملة، وتبوأ سرير المملكة، وقام بين يديه أمراء خراسان سماطين مقيمين برسم الخدمة وملتزمين حكم الهيبة، وأجلسهم بعد الإذن العام على مجلس الأنس، وأمر لكل واحد منهم وحاشيته من الخلع والصلات ونفائس الأمتعة ما لم يسمع بمثله، واتسعت الأمور عن آخرها في كنف إيالته، واستوثقت الأعمال في ضمن كفالته، ثم إنه ملك سجستان في سنة ثلاث وتسعين وثلاثمائة، بدخول قوادها وولاة أمورها في طاعته من غير قتال، ولم يزل يفتح بلاد الهند إلى أن انتهى إلى حيث لم تبلغه في الإسلام راية، ولم تنل به سورة قط ولا آية، فدحض عنها أدناس الشرك، وبنى بها مساجد وجوامع. ولد ليلة عاشوراء سنة إحدى وستين وثلاثمائة، وتوفي بغزنة في جمادى الأولى سنة إحدى وعشرين وأربعمائة. (انظر مراصد الاطلاع ٣/ ٢٢٠).

وقال لمن تبعهما: هذا وقت مُلْكنا، وكان ذلك سنة تسع وثمانين ومائتين، فقصدهم سبك صاحب المعتضد، فقتلوا سبكاً في الحرب، ودخلوا مدينة الرصافة[1]، وأحرقوا مسجدها الجامع، وقصدوا بعد ذلك دمشق فاستقبلهم الحماميُّ غلامُ ابن طيلون وهزمهم إلى الرقة، فخرج إليهم محمد بن سليمان كاتب المكتفي في جند من أجناد المكتفي فهزمهم وقتل منهم الألوف، فانهزم الحسن بن زكريا بن مهرويه إلى الرملة[2]، فقبض عليه والي الرملة، فبعث به وبجماعة من أتباعه إلى المكتفي، فقتلهم ببغداد في الشارع بأشد عذاب.

ثم انقطعت بقتلهم شوكة القرامطة إلى سنة عشر وثلاثمائة.

وظهر بعدها فتنة سليمان بن الحسن في سنة إحدى عشرة وثلاثمائة، فإنه كبس البصرة وقتَلَ أميرها سبكاً المفلحي، ونقل أموال البصرة إلى البحرين.

وفي سنة اثنتي عشرة وثلاثمائة وقَعَ الحجيجُ في نَهْبٍ لعشر بقين من المحرم، وقُتل أكثر الحجيج، وسبي الحرم والذراري، ثم دخل الكوفة في سنة ثلاث عشرة وثلاثمائة فقتل الناس وانتهب الأموال.

وفي سنة خمس عشرة وثلاثمائة حارب ابن أبي الساج وأسَره، وهزم أصحابه.

وفي سنة سبع عشرة وثلاثمائة دخل مكة وقتل مَنْ وجده في الطواف، وقيل:

(١) الرصافة (بضم أوله) وهي في مواضع كثيرة منها:
رصافة أبي العباس: بناها أبو العباس السفاح إلى جانب الأنبار وسكنها، ومنها رصافة البصرة: مدينة صغيرة قربها، ومنها رصافة الحجاز: عين الرصافة، موضع في الشعر، ومنها رصافة بغداد بالجانب الشرقي، كان المهدي عسكر بها، وأمره المنصور أن يبني بها دوراً فالتحق بها الناس وعمروها فصارت بقدر مدينة المنصور، وبنى بها جامعاً أكبر من جامع أبيه، وبها تربة الخلفاء، فيها قبور جماعة من الخلفاء، وقد انقطعت العمارة عنها، فبنى عليها الإمام المستنصر سوراً حسناً بالآجر. (انظر مراصد الاطلاع ٢/٦١٧).

(٢) الرملة: واحدة الرمل: مدينة بفلسطين، كانت قصبتها، وكانت رباطاً للمسلمين، وبينها وبين بيت المقدس اثنا عشر ميلاً، وهي كورة منها. (انظر مراصد الاطلاع ٢/٦٢٣).

إنه قتَلَ بها ثلاثة آلاف، وأخرج منها سبعمائة بكر، واقتلع الحجر، وحمله إلى البحرين، ثم رُدَّ منها إلى الكوفة، ورُدَّ بعد ذلك من الكوفة إلى مكة على يد أبي إسحاق إبراهيم بن محمد بن يحيى المزكى النيسابوري في سنة تسع وثلاثين وثلاثمائة.

وقصد سليمان بن الحسن بغداد في سنة ثماني عشرة وثلاثمائة، فلما ورد هيت رَمَتْه امرأة من سطحها بِلَبنة فقتلته، وانقطعت بعد ذلك شوكة القرامطة، وصاروا بعد قتل سليمان بن الحسن متصدِّينَ للحجيج من الكوفة والبصرة إلى مكة حُفَاة ليضمن لهم مال، إلى أن غلبهم الأصفر العقيلي على بعض ديارهم.

وكانت ولاية مصر وأعمالها للإخشيدية، وانضمَّ بعضُهم إلى ابن عُبَيْد اللَّه الباطني الذي كان قد استولى على قيروان، ودخلوا مصر في سنة ثلاث وستين وثلاثمائة، وابتنوا بها مدينة سَمَّوْهَا: القاهرة، يسكنها أهل بدعته، وأهل مصر ثابتون على السنّة إلى يومنا، وإن أطاعوا صاحبَ القاهرة في أداء خراجهم إليه.

وكان أبو شُجَاع فَنَّا خُسْرُو بن بُوَيْه قد تأهب لقَصْد مصر وانتزاعها من أيدي الباطنية، وكتب على أعلامه بالسواد: بسم اللَّه الرحمٰن الرحيم، الحمد للَّه رب العالمين، وصلّى اللَّه على محمد خاتم النبيين، والطائع للَّه أمير المؤمنين، ادخلوا مصر إن شاء اللَّه آمنين، وقال قصيدة أولها:

أما تَرَى الأقْدارَ لي طَوَائعا ... قواضِياً لي بالعِيَان كالخَبَرْ
ويَشْهَدُ الأنام لي بأنني ... ذاك الذي يُرْجَى وَذاكَ المُنْتَظَرْ
لنُصْرَةِ الإسلام والداعي إلى ... خليفة اللَّه الإمَامِ المُفْتَخَرْ

فلما خرج إلى مَضَاربه للخروج إلى مصر غَافَصَه[1] وفاجأه الأجلُ فمضى لسبيله، فلما قضى فَنَّا خُسْرُو نَحْبَه طمع زعيمُ مصر في ملوك نواحي الشرق، فكاتبهم

(١) يقال: غافصت فلاناً إذا فاجأته وأخذته على غرة منه، وأخذت الشيء مغافصة أي مغالبة. (انظر المصباح المنير ص ٤٤٩).

يَدْعُوهم إلى البيعة له، فأجاب قابوس بن وشمكير عن كتابه بقوله: إني لا أذكرك إلاَّ على المستراح، وأجابه ناصر الدولة أبو الحسن محمد بن إبراهيم بن سيمجور بأن كتب على ظهر كتابه إليه: ﴿**قُلْ يا أيها الكافرون، لا أعبد ما تعبدون**﴾[1] إلى آخر السورة، وأجابه نوح بن منصور والي خُرَاسان بقتل دُعَاته إلى بِدْعته، ودخل في دعوته بعضُ ولاة الجرجانية من أرض خوارزم، فكان دخولُه في دينه شُؤْماً عليه في ذهاب ملكه، وقتل أصحابه، ثم استولى يمين الدولة وأمين الملة محمود بن سُبُكْتكين على أرضهم، وقَتَلَ مَنْ كان بها من دعاة الباطنية، وكان أبو علي بن سيمجور قد وَافَقَهم في السر فَذَاقَ وَبَالَ أمره في ذلك، وقَبَضَ عليه والي خراسان نوح بن منصور، وبعث به إلى سبكتكين، فقتل بناحية غَزْنَةَ.

وكان أبو القاسم الحسن بن علي الملقب بدانشمند داعيةَ أبي علي بن سيمجور إلى مذهب الباطنية، وظفر به بكتوزون صاحب جيش السامانية بنيسابور فقتله، ودفن في مكانٍ لا يعرف.

وكان أميرك الطوسي والي ناحية التاروذية قد دخل في دعوة الباطنية، فأسر وحُمل إلى غَزْنَة وقتل بها في الليلة التي قتل فيها أبو علي بن سيمجور.

وكان أهل مولتان من أرض الهند داخلين في دعوة الباطنية، فقصَدَهم محمودٌ رحمه اللَّه في عسكره، وقتل منهم الألوف، وقطع أيدي ألف منهم، وباد بذلك نُصرَاء الباطنية من تلك الناحية، ومن هذا بَانَ شؤمُ الباطنية على منتحليها، فليعتبر بذلك المعتبرون.

* * *

وقد اختلف المتكلمون في بيان أغراض الباطنية في دعوتها إلى بدعتها، فذهب أكثرهم إلى أن غرض الباطنية الدعوة إلى دين المجوس بالتأويلات التي يتأولون عليها القرآن والسنّة، واستدلوا على ذلك بأن زعيمهم الأول مَيْمُون بن

(١) سورة الكافرون، الآيتان: ١ و ٢.

دَيْصَان كان مجوسيّاً من سبي الأهواز، ودعا ابنُه عبد اللَّه بن ميمون الناسَ إلى دين أبيه، واستدلّوا أيضاً بأن داعيهم المعروف بالبزدوي قال في كتابه المعروف بـ (المحصول): إن المُبْدِعَ الأول أبدع النفس، ثم إن الأول والثاني مُدَبران للعالم بتدبير الكواكب السبعة والطبائع الأربع، وهذا في التحقيق معنى قول المجوس: إن يَزْدَان خلق أهرمن، وإنه مع أهرمن مُدَبِّران للعالم، غير أن يزدان فاعل الخيرات، وأهرمن فاعل الشرور.

ومنهم من نسب الباطنية إلى الصابئين الذين هم بحَرَّان، واستدل على ذلك بأن حَمْدان قِرْمِط داعية الباطنية بعد ميمون بن ديصان كان من الصابئة الحرَّانية، واستدل أيضاً بأن صابئة حَرَّان يكتمون أديانهم ولا يظهرونها إلا لمن كان منهم، والباطنية أيضاً لا يُظْهرون دينَهم إلا لمن كان منهم بعد إحْلافهم إياه على أن لا يذكر أسرارهم لغيرهم.

* * *

قال عبد القاهر: الذي يصحُّ عندي من دين الباطنية أنهم دُهْرية زَنَادقة، يقولون بقدم العالم، وينكرون الرسل والشرائع كلها، لميلها إلى استباحة كل ما يميل إليه الطبع.

والدليل على أنهم كما ذكرناه ما قرأته في كتابهم المترجم بـ (السياسة والبلاغ الأكيد، والناموس الأعظم) وهي رسالة عُبَيْد اللَّه بن الحسين القَيْرَواني إلى سليمان بن الحسن بن سعيد الجَنَّابي، أوْصَاه فيها بأن قال له: ادْعُ الناسَ بأن تتقرَّبَ إليهم بما يَميلون إليه، وأوْهِمْ كل واحد منهم بأنك منهم، فمن آنَسْتَ منه رُشْداً فاكشف له الغطاء، وإذا ظفرت بالفلسفي فاحتفظ به، فعلى الفلاسفة مُعَوَّلُنا، وإنا وإياهم مُجْمِعُون على رد نَوَاميس الأنبياء، وعلى القول بقِدَمِ العالم، لولا ما يخالفنا فيه بعضُهم من أن للعالم مُدَبراً لا نعرفه.

وذكر في هذا الكتاب إبطال القول بالمَعَاد والعقاب، وذكر فيها أن الجنة نعيمُ

الدنيا، وأن العذاب إنما هو اشتغال أصحاب الشرائع بالصَّلاَة والصيام والحج والجهاد.

وقال أيضاً في هذه الرسالة: إن أهل الشرائع يَعْبدون إلَهاً لا يعرفونه، ولا يحصلون منه إلا على اسم بلا جسم.

وقال فيها أيضاً: أكْرِمِ الدُّهْرِيَّةَ فإنهم منا ونحن منهم، وفي هذا تحقيق نسبة الباطنية إلى الدهرية، والذي يؤكد هذا أن المجوس يَدَّعُون نبوة زرادشت ونزول الوحي عليه من اللَّه تعالى، وأن الصابئين يَدَّعُون نبوة هرمس، ووالِيس، وذروثيوس وأفلاطن وجماعة من الفلاسفة، وسائر الشرائعُ كل صنف منهم مُقِرّون بنزول الوحي من السماء على الذين أقروا بنبوتهم، ويقولون: إن ذلك الوحي شامل للأمر والنهي والخبر عن عاقبة بعد الموت، وعن ثواب وعقاب، وجنة ونار، يكون فيها الجزاء عن الأعمال السالفة، والباطنيةُ يرفضون المعجزات، وينكرون نزول الملائكة من السماء بالوَحْيِ والأمر والنهي، بل ينكرون أن يكون في السماء مَلَك، وإنما يتأولون الملائكة على دُعَاتهم إلى بِدْعَتهم، ويتأولون الشياطين على مخالفيهم، والأبالسة على مخالفيهم.

ويزعمون أن الأنبياء قوم أحَبُّوا الزعامة فساسُوا العامة بالنواميس والحيل طلباً للزعامة بدعوى النبوّة والإمامة، وكل واحد منهم صاحب دور مسبع، إذا انقضى دور سبعة تبعهم في دور آخر، وإذا ذكروا النبيَّ والوحي قالوا: إن النبي هو الناطق، والوحي أساسه الفاتق، وإلى الفاتق تأويل نطق الناطق على ما تراه يميل إليه هواه، فمن صار إلى تأويله الباطن فهو من الملائكة البَرَرَة، ومن عمل بالظاهر فهو من الشياطين الكفرة.

ثم تأولوا لكل ركن من أركان الشريعة تأويلاً يورث تضليلاً، فزعموا أن معنى الصلاة موالاة إمامهم، والحج زيارته وإدمان خدمته، والمراد بالصوم الإمساك عن إفشاء سر الإمام دون الإمساك عن الطعام، والزنى عندهم إفشاء سرهم بغير عهد

وميثاق.

وزعموا أن مَنْ عرف معنى العبادة سقط عنه فرضها، وتأولوا في ذلك قوله: ﴿وَٱعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّى يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ﴾[1]، وحملوا اليقين على معرفة التأويل.

وقد قال القيرواني في رسالته إلى سليمان بن الحسن: إني أوصيك بتشكيك الناس في القرآن والتوراة والزبور والإنجيل، وبدَعْوَتهم إلى إبطال الشرائع، وإلى إبطال المعاد والنشور من القبور، وإبطال الملائكة في السماء، وإبطال الجن في الأرض، وأوصيك بأن تدعوهم إلى القول بأنه قد كان قبل آدم بَشَر كثير، فإن ذلك عَوْنٌ لك على القول بقدم العالم.

وفي هذا تحقيق دعوانا على الباطنية أنهم دُهْرِية يقولون بقدم العالم، ويجحدون الصانع، ويدل على دعوانا عليهم القولَ بإبطال الشرائع أن القيرواني قال أيضاً في رسالته إلى سليمان بن الحسن: وينبغي أن تُحيطَ علماً بمخاريق الأنبياء ومناقضاتهم في أقوالهم، كعيسى ابن مريم قال لليهود: لا أرفع شريعة موسى، ثم رفعها بتحريم الأحد بدلاً من السبت، وأباح العمل في السبت، وأبدل قبلة موسى بخلاف جهتها، ولهذا قتلته اليهود لما اختلفت كلمته.

ثم قال له: ولا تكن كصاحب الأمة المنكوسة حين سألوه عن الروح فقال: ﴿الروح من أمر ربي﴾[2] لمَّا لم يعلم ولم يَحْضُره جواب المسألة، ولا تكن كموسى في دعواه التي لم يكن له عليها برهان سوى المخرقة بحسن الحيلة والشعبذة، ولما لم يجد المحقق في زمانه عنده برهاناً قال: ﴿لئن اتخذت إلَهاً غيري﴾[3] وقال لقومه: ﴿أنا ربكم الأعلى﴾[4] لأنه كان صاحب الزمان في وقته.

ثم قال في آخر رسالته: وما العجب من شيء كالعجب من رجل يدعي العَقْلَ

(١) سورة الحجر، الآية: ٩٩.
(٢) سورة الإسراء، الآية: ٨٥.
(٣) سورة الشعراء، الآية: ٢٩.
(٤) سورة النازعات، الآية: ٢٤.

ثم يكون له أختٌ أو بنتٌ حَسْناء وليست له زوجة في حسنها فيحرِّمُها على نفسه ويُنْكِحها من أجنبي، ولو عقل الجاهل لعلم أنه أحق بأخته وبنته من الأجنبي، وما وَجْهُ ذلك إلا أن صاحبهم حَرَّم عليهم الطيبات، وخَوَّفهم بغائب لا يعقل، وهو الإلَهُ الذي يزعمونه، وأخبرهم بكون ما لا يرونه أبداً من البَعْث من القبور والحساب والجنة والنار، حتى استعبدهم بذلك عاجلاً، وجعلهم له في حياته ولذريته بعد وفاته خَوَلاً، واستباح بذلك أموالهم بقوله: ﴿**لا أَسْأَلُكُمْ عليه أجْراً إلا المَوَدَّةَ فِي الْقُرْبى**﴾[1] فكان أمره معهم نَقْداً، وأمرهم معه نَسِيئة، وقد استعجل منهم بَذْلَ أرواحهم وأموالهم على انتظار موعود لا يكون، وهل الجنة إلا هذه الدنيا ونعيمها؟ وهل النار وعذابها إلا ما فيه أصحاب الشرائع من التعب والنصب في الصلاة والصيام والجهاد والحج؟

ثم قال لسليمان بن الحسن في هذه الرسالة: وأنت وإخوانُك هم الوارثون الذين يرثون الفردوس، وفي هذه الدنيا ورثتم نعيمها ولذاتها المحرمة على الجاهلين المتمسكين بشرائع أصحاب النواميس، فهنيئاً لكم ما نِلْتُم من الراحة عن أمرهم.

وفي هذا الذي ذكرناه دلالة على أن غرض الباطنية القول بمذاهب الدهرية واستباحة المحرمات وترك العبادات.

ثم إن الباطنية لهم في اصطياد الأغْتَام ودعوتهم إلى بدعتهم حيل على مراتب سموها: التفرس، والتأنيس، والتشكيك، والتعليق، والربط، والتدليس، والتأسيس، والمواثيق بالأيمان والعهود، وآخرها الخلع والسلخ.

فأما التفرس فإنهم قالوا: من شَرْط الداعي إلى بدعتهم أن يكون قوياً على التلبيس، وعارفاً بوجوه تأويل الظواهر ليردها إلى الباطن، ويكون مع ذلك مميزاً بين من يطمع فيه، وفي إغرائه وبين من لا مَطْمَع فيه، ولهذا قالوا في وصاياهم للدعاة إلى بدعتهم: لا تتكلموا في بيت فيه سراج، يَعْنُونَ بالسراج مَنْ يعرف علم الكلام

(١) سورة الشورى، الآية: ٢٣.

ووجوه النظر والمقاييس، وقالوا أيضاً لدعاتهم: لا تطرحوا بذركم في أرض سبخة، وأرادوا بذلك مَنْعَ دعاتهم عن إظهار بدعتهم عند من لا تؤثر فيهم بدعتهم كما لا يؤثر البذر في الأرض السبخة شيئاً، وسموا قلوب أتباعِهم الأغتام أرضاً زاكية، لأنها تقبل بدعتهم، وهذا المثل بالعكس أولى، وذلك أن القلوب الزاكية هي القابلة للدين القويم، والصراط المستقيم، وهي التي لا تَصْدَأ بشُبَه أهل الضلال، كالذهب الإبريز الذي لا يَصْدَأ في الماء، ولا يبلى في التراب، ولا ينقص في النار، والأرض السبخة كقلوب الباطنية وسائر الزنادقة الذين لا يَزْجُرُهم عقل، ولا يَرْدَعُهُم شرع، فهم أرْجاسٌ أنجاس أمْوَاتٌ غير أحياء، ﴿إِنْ هُمْ إِلَّا كَالأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلاً﴾[1] قد قَسَم لهم الحظّ في الرزق مَنْ قَسم رزق الخنازير في مراعيها، وأباح طعمة العنب في براريها: ﴿لاَ يُسْأَلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْأَلُونَ﴾[2].

وقالوا أيضاً: من شرط الداعي إلى مذهبهم أن يكون عارفاً بالوجوه التي تُدْعَى بها الأصناف، فليست دعوة الأصناف من وجه واحد بل لكل صنف من الناس وجه يُدعى منه إلى مذهب الباطن.

فمن رآه الداعي مائلاً إلى العبادات حمله على الزهد والعبادة، ثم سأله عن معاني العبادات وعِلَل الفرائض، وشَكَّكه فيها.

ومَنْ رآه ذا مجون وخَلاَعة قال له: العبادة بَلَه وحَمَاقة، وإنما الفطنة في نيل اللذات، وتمثل له بقول الشاعر:

مَنْ رَاقَبَ النَّاسَ مَاتَ هَمًّا وَفَازَ باللَّذَّةِ الْجَسُورُ

ومن رآه شاكاً في دينه أو في المَعَاد والثواب والعقاب صَرَّح له بنفي ذلك، وحَمَله على استباحة المحرمات، واستروح معه إلى قول الشاعر الماجن:

أتْرُكَ لذة الصَّهْبَاءِ صِرْفاً لما وَعَدُوهُ من لحم وَخَمْرِ

(١) سورة الفرقان، الآية: ٤٤.
(٢) سورة الأنبياء، الآية: ٢٣.

لِحَيَـــاة ثـــمَّ مَـــوْتٌ ثـــم نَشْـــر حَـــدِيـــثُ خُـــرَافَـــةٍ يـــا أمَّ عَمْـــرِو

ومن رآه من غُلَاة الرافضة ـ كالسَّبَئِيَّة، والبيانية، والمغيرية، والمنصورية، والخَطَّابية ـ لم يحتج معه إلى تأويل الآيات والأخبار، لأنهم يتأوَّلُونها معهم على وَفْق ضلالتهم.

ومن رآه من الرافضة زَيْدِياً أو إمامياً مائلاً إلى الطعن في أخْيَار الصحابة دخل عليه من جهة شتم الصحابة، وزَيَّنَ له بُغْض بني تَيْم، لأن أبا بكر منهم، وبغض بني عَدِيّ لأن عمر بن الخطاب كان منهم، وحثَّه على بغض بني أمية لأنه كان منهم عثمان ومعاوية، وربما استروح الباطني في عصرنا هذا إلى قول إسماعيل بن عَبَّاد:

دخـولُ النـارِ فـي حُـبِّ الـوصـيِّ وفـــي تفضيـــل أولاد النبـــيِّ
أحَـــبُّ إلـــيَّ مـــن جنَّـــاتِ عَـــدْن أخَلّـــدُهَـــا بِتَيْـــمٍ أو عَـــدِيِّ

قال عبد القاهر: قد أجبنا هذا القائل بقولنا فيه:

أتَطْمَـعُ أنْـتَ فـي جنـاتِ عَـدْنٍ وأنـــت عَـــدُوُّ تَيْـــم أو عَـــدِيِّ
وهـــم تَـــرَكـــوكَ أشْقَـــى مـــن ثمـــودٍ وهـــم تَـــركـــوك أفضَـــحَ مـــن دَعِـــيِّ
وَفِـي نـار الجَحِيـمِ غَـداً سَتَصْلَـى إذا عَـــادَاكَ صِـــدِّيـــقُ النبـــيِّ

ومَنْ رآه الداعي مائلاً إلى أبـي بكر وعمر مَدَحَهما عنده، وقال: لهما حَظٌّ في تأويل الشريعة، لهذا استصحب النبـيُّ أبا بكر إلى الغار، ثم إلى المدينة، وأفْضَى إليه في الغار تأويل شريعته، فإذا سأله المُوَالي لأبـي بكر وعمر عن التأويل المذكور لأبـي بكر وعمر أخذ عليه العهود والمواثيق في كتمان ما يظهره له، ثم ذكر له على التدريج بعضَ التأويلات، فإن قبلها منه أظهر الباقي، وإن لم يقبل منه التأويل الأول رَبَطه في الباقي وكتمه عنه، وشك الغِرُّ من أجل ذلك في أركان الشريعة.

والذين يَرُوجُ عليهم مذهبُ الباطنية أصناف:

أحدها: العامة الذين قَلَّتْ بصائرهم بأصول العلم والنظر، كالنبط والأكراد وأولاد المجوس.

والصنف الثاني: الشعوبية الذين يرون تفضيل العجم على العرب، ويتمنون عَوْدَ المُلْك إلى العجم.

والصنف الثالث: أغتام بني ربيعة، من أجل غيظهم على مُضَر لخروج النبي منهم، ولهذا قال عبد اللَّه بن حازم السلمي في خطبته بخراسان: إن ربيعة لم تَزَلْ غِضَاباً على اللَّه مذ بعث نبيّه من مضر، ومن أجل حَسَد ربيعة لمضر بايَعَتْ بنو حنيفة مسيلمة الكذاب طمعاً في أن يكون في بني ربيعة نبي كما كان في بني مُضَرَ نبي، فإذا استأنس الأعجميُّ الغِرُّ أو الرَّبَعِيُّ الحاسد المبغض يقول الباطني له: قومُك أحَقُّ بالملك من مضر، فيسأله عن السبب في عَوْد الملك إلى قومه، فإذا سأله عن ذلك قال له: إن الشريعة المضرية لها نهاية، وقد دنا انقضاؤها، وبعد انقضائها يعود الملك إليكم، ثم ذكر له تأويل إنكار شريعة الإسلام على التدريج، فإذا قَبِلَ ذلك منه صار ملحداً صريحاً، واستثقل العبادات، واستطاب استحلال المحرمات، فهذا بيان درجة التفرس منهم.

ودرجة التأنيس قريبة من درجة التفرس عندهم، وهي: تزيين ما عليه الإنسان من مذهبه في عينه، ثم سؤاله بعد ذلك عن تأويل ما هو عليه، وتشكيكه إياه في أصول دينه، فإذا سأله المدعُوُّ عن ذلك قال: عِلْمُ ذلك عند الإمام، ووصَل بذلك منه إلى درجة التشكيك، -حتى صار المدعُوُّ إلى اعتقاد أن المراد بالظواهر والسنن غير مقتضاها في اللغة، وهَانَ عليه بذلك ارتكاب المحظورات وترك العبادات.

والربطَ عندهم: تعليقُ نفس المدعُوِّ بطلب تأويل أركان الشريعة، فإما أن يقبل منهم تأويلها على وجه يؤول إلى رفعها، وإما أن يبقى على الشك والحيرة فيها.

ودرجة التدليس منهم قولهم للغر الجاهل بأصول النظر والاستدلال: إن الظواهر عذاب، وباطنها فيه الرحمة، وذكر له قوله في القرآن: ﴿فَضُرِبَ بَيْنَهُمْ بِسُورٍ

لَهُ بَابٌ بَاطِنُهُ فِيهِ الرَّحْمَةُ وَظَاهِرُهُ مِنْ قِبَلِهِ الْعَذَابُ﴾[1] فإذا سألهم الغِرُّ عن تأويل باطن الباب قالوا: جرت سنّة اللّه تعالى في أخذ العهد والميثاق على رسله، ولذلك قال: ﴿وإذ أَخَذْنَا مِنَ النَّبِيِّينَ مِيثَاقَهُمْ وَمِنْكَ وَمِن نُوحٍ وَإِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى ابنِ مَرْيَمَ وَأَخَذْنَا مِنهم ميثَاقاً غَليظاً﴾[2] وذكروا له قوله: ﴿وَلاَ تَنْقُضُوا الأَيْمَانَ بَعْدَ تَوْكِيدِهَا وَقَدْ جَعَلْتُمُ اللَّهَ عَلَيْكُمْ كَفِيلاً إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ﴾[3]، فإذا حلف الغِرُّ لهم بالأيمان المغلظة وبالطلاق والعتق وتسبيل الأموال فقد رَبَطُوه بها، وذكروا له من تأويل الظواهر ما يؤدِّي إلى رفعها بزعمهم، فإن قَبِلَ الأحمق ذلك منهم دخل في دين الزنادقة باطناً واستتر بالإسلام ظاهراً، وإن نَفَر الحالف عن اعتقاد تأويلات الباطنية الزنادقة كتَمَها عليهم، لأنه حلف لهم على كتمان ما أظهروه له من أسرارهم، وإذا قبلها منهم فقد خلفوه وسلخوه عن دين الإسلام، وقالوا له حينئذٍ: إن الظاهر كالقشر، والباطن كاللُّبِّ، واللب خير من القشر.

قال عبد القاهر: حكى لي بعضُ من كان دخل في دعوة الباطنية ثم وَفَّقه اللّه تعالى لرشده وهَدَاه إلى حلِّ أيمانهم أنهم لما وَثِقُوا منه بأيمانه قالوا له: إن المسلمين بالأنبياء كنوح وإبراهيم وموسى وعيسى ومحمد وكل من ادعى النبوة كانوا أصحاب نواميس ومخاريق أحَبُّوا الزعامة على العامة، فخدعوهم بنيرنجات، واستعبدوهم بشرائعهم.

قال هذا الحاكي لي: ثم ناقض الذي كشف لي هذا السر بأن قال له: ينبغي أن تعلم أن محمد بن إسماعيل بن جعفر هو الذي نادى موسى بن عمران من الشَّجَرَة فقال له: ﴿إِنِّي أَنَا رَبُّكَ فاخْلَعْ نَعْلَيْكَ إِنَّكَ بِالْوَادِي المُقَدَّسِ طُوًى﴾[4] قال: فقلت: سَخِنَتْ عينُكَ تدعوني إلى الكفر بالرب القديم الخالق للعالَم ثم تدعوني مع ذلك إلى الإقرار بربوبية إنسان مخلوق، وتزعم أنه كان قبل ولادته إلَهاً مرسِلاً لموسى؟ فإن

(١) سورة الحديد، الآية: ١٣.
(٢) سورة الأحزاب، الآية: ٧.
(٣) سورة النحل، الآية: ٩١.
(٤) سورة طه، الآية: ١٢.

كان موسى عندك ممخرقاً فالذي زعمت أنه أرسله أكذبُ، فقال لي: إنك لا تفلح أبداً، وندم على إفشاء أسراره إليَّ، وتُبْتُ من بدعتهم.

فهذا بيان وجه حيلهم على أتباعهم، وأما أيمانهم فإن داعيَهُمْ يقول للمخالف: جَعَلْتَ على نفسك عهد اللَّه وميثاقه وذمته وذمة رسله وما أخذ اللَّه تعالى على النبيين من عهدٍ وميثاق أنك تستر ما تسمعه مني، وما تعلمه من أمري، ومن أمر الإمام الذي هو صاحبُ زمانك، وأمر أشياعه وأتباعه في هذا البلد وفي سائر البلدان، وأمْرِ المطيعين له من الذكور والإناث، فلا تظهر من ذلك قليلاً ولا كثيراً، ولا تظهر شيئاً يدلُّ عليه من كتابة أو إشارة إلا ما أذِنَ لك فيه الإمامُ صاحب الزمان، أو أذن لك في إظهاره المأذونُ له في دعوته، فتعمل في ذلك حينئذٍ بمقدار ما يؤذن لك فيه، وقد جعلْتَ على نفسك الوفاء بذلك، وألزمته نفسك في حالتي الرضا والغضب والرغبة والرهبة، قال: نعم، فإذا قال: نعم، قال له: وجعلت على نفسك أن تمنعني وجميعَ من أسَمِّيه لك مما تمنع منه نفسك بعهد اللَّه وميثاقه عليك وذمته وذمة رُسُله، وتنصحهم نصحاً ظاهراً وباطناً، وألاَّ تَخُونَ الإمام وأولياءه وأهلَ دعوته في أنفسهم ولا في أموالهم، وأنك لا تتأول في هذه الأيمان تأويلاً، ولا تعتقد ما يحلُّها، وأنك إن فعلْتَ شيئاً من ذلك فأنت بريء من اللَّه ورُسُله وملائكته ومن جميع ما أنزل اللَّه تعالى من كتبه، وأنك إن خالفت في شيء مما ذكرناه لك فللَّه عليك أن تحجَّ إلى بيته مائة حجة ماشياً نَذْراً واجبّاً، وكل ما تملكه في الوقت الذي أنت فيه صدقة على الفقراء والمساكين، وكل مملوك يكون في ملكك يوم تخالف فيه أو بعده يكون حراً، وكل امرأة لك الآن أو يومَ مخالفتك أو تتزوجها بعد ذلك تكون طالقاً منك ثلاث طلقات، واللَّه تعالى الشاهدُ على نيتك وعَقْد ضميرك فيما حلفت به، فإذا قال: نعم، قال له: كفى باللَّه شهيداً بيننا وبينك، فإذا حلف الغِرُّ بهذه الأيمان ظنَّ أنه لا يمكن حلها، ولم يعلم الغِرُّ أنه ليس لأيمانهم عندهم مقدار ولا حرمة، وأنهم لا يرون فيها ولا في حلها إثماً ولا كَفَّارة ولا عاراً ولا عقاباً في الآخرة. وكيف يكون لليمين باللَّه وبكتبه ورسله عندهم حرمة؟ وهم لا يقرون بإلَهٍ قديم، بل لا يقرون

بحدوث العالم، ولا يثبتون كتاباً مُنْزَلاً من السماء، ولا رسولاً ينزل عليه الوحي من السماء، وكيف يكون لأيمان المسلمين عندهم حرمة؟ ومن دينهم أن اللَّه الرحمٰن الرحيم إنما هو زعيمُهم الذي يدعون إليه، ومَنْ مال منهم إلى دين المجوس زعم أن الإلَه نورٌ بإزائه شيطان قد غلبه ونازعه في ملكه، وكيف يكون لنَذْر الحج والعمرة عندهم مقدار وهم لا يرون للكعبة مقداراً، ويسخرون بمن يحج ويعتمر؟ وكيف يكون للطلاق عندهم حرمة وهم يستحلون كلَّ امرأة من غير عقد؟ فهذا بيان حكم الأيمان عندهم.

فأما حكم الأيمان عند المسلمين فإنا نقول: كلُّ يمينٍ يحلف بها الحالفُ ابتداء بطَوْعِ نفسه فهو على نيته، وكل يمين يحلف بها عند قاضٍ أو سلطان يحلِّفه ينظر فيها، فإن كانت يميناً في دعوى لمدعٍ شيئاً على الحالف المنكر، وكان المدعي ظالماً للمدعَى عليه، فيمين الحالف على نيته، وإن كان المدعي محقاً والمنكر ظالماً للمدعي فيمين المنكر على نية القاضي أو السلطان الذي أحلفه، ويكون الحالف حانثاً في يمينه.

وإذا صحت هذه المقدمة فالباحث عن دين الباطنية إذا قَصَد إظهار بدعتهم للناس، أو أراد النَّقْضَ عليهم، فهو معذور في يمينه، وتكون يمينه على نيته، فإذا استثنى بقلبه مشيئَةَ اللَّه تعالى فيها لم تنعقد عليه أيمانه، ولم يحنث فيها بإظهاره أسرارَ الباطنية للناس، ولم تطلق نساؤه، ولا تعتق مماليكه، ولا تلزمه صدقة بذلك، وليس زعيم الباطنية عند المسلمين إماماً، ومَنْ أظهر سِرَّه لم يظهر سر إمام، وإنما أظهر سر كافر زنديق، وقد جاء في الحديث المأثور: «اذْكُرُوا الفَاسِقَ بِمَا فِيهِ يحذره الناس». فهذا بيان حيلتهم على الأغمار بالأيمان.

فأما احتيالهم على الأغمار بالتشكيك فمن جهة أنهم يسألونهم عن مسائل من أحكام الشريعة يوهمونهم فيها خلاف معانيها الظاهرة، وربما سألوهم عن مسائل في المحسوسات يوهمون أن فيها علوماً لا يُحيطُ بها إلا زعيمُهم، فمن مسائلهم قول الداعي منهم للغِرِّ: لم صار للإنسان أذنان ولسان واحد؟ ولم صار للرجل ذكر واحد

وخصيتان؟ ولم صارت الأعصاب متصلةً بالدماغ، والأوردة متصلة بالكبد، والشرايين متصلة بالقلب؟ ولم صار الإنسان مخصوصاً بنَبَات الشعر على جَفْنَيْه الأعلى والأسفل؟ وسائر الحيوان ينبت الشعر على جفنه الأعلى دون الأسفل، ولم صار ثديُ الإنسان على صدره، وثدي البهائم على بطونها؟ ولماذا لم يكن للفرس غُدَد، ولا كرش، ولا كعب؟ وما الفرق بين الحيوان الذي يبيض والذيْ يلد ولا يبيض؟ وبماذا يميز بين السمكة النهرية والسمكة البحرية؟ ونحو هذا كثير يوهمون أن العلم بذلك عند زعيمهم.

ومن مسائلهم في القرآن سؤالهم عن معاني حروف الهجاء في أوائل السور كقول: ﴿الٓمٓ﴾ و ﴿حمٓ﴾ و ﴿طسٓ﴾ و ﴿يسٓ﴾ و ﴿طه﴾ و ﴿كٓهيعٓصٓ﴾ وربما قالوا: ما معنى كل حرف من حروف الهجاء؟ ولم صارت حروف الهجاء تسعة وعشرين حرفاً؟ ولم أعجم بعضها بالنقط وخلا بعضُها من النقط؟ ولم جاز وَصْلُ بعضها بما بعدها بحرف؟ وربما قالوا للغِرِّ: ما معنى قوله: ﴿وَيَحْمِلُ عَرْشَ رَبِّكَ فَوْقَهُمْ يَوْمَئِذٍ ثَمَانِيَةٌ﴾[1]؟ ولم جعل اللَّه تعالى أبواب الجنة ثمانية وأبواب النار سبعة؟ وما معنى قوله: ﴿عَلَيْهَا تِسْعَةَ عَشَرَ﴾[2] وما فائدة هذا العدد؟ وربما سألوا عن آيات أوهموا فيها التناقض، وزعموا أنه لا يعرف تأويلها إلا زعيمهم، كقوله: ﴿فَيَوْمَئِذٍ لَا يُسْأَلُ عَنْ ذَنْبِهِ إِنْسٌ وَلَا جَانٌّ﴾[3] مع قوله في موضع آخر: ﴿فَوَرَبِّكَ لَنَسْأَلَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ﴾[4].

ومنها: مسائلهم في أحكام الفقه، كقولهم: لم صارت صلاة الصبح ركعتين، والظهر أربعاً، والمغرب ثلاثاً؟ ولم صار في كل ركعة ركوع واحد وسجدتان؟ ولم كان الوضوء على أربعة والتيمم على عضوين؟ ولم وجب الغُسْل من المني، وهو عند أكثر المسلمين طاهر، ولم يجب الغسل من البول مع نجاسته عند الجميع؟ ولم

(١) سورة الحاقة، الآية: ١٧.
(٢) سورة المدثر، الآية: ٣٠.
(٣) سورة الرحمٰن، الآية: ٣٩.
(٤) سورة الحجر، الآية: ٩٢.

أعادت الحائضُ ما تركت من الصيام، ولم تُعدْ ما تركت من الصلاة؟ ولم كانت العقوبة في السرقة بقطع اليد وفي الزنى بالجلد؟ وهلا قُطِع الفرجُ الذي به زنى في الزنى كما قطعت اليدُ التي بها سرق في السرقة؟ فإذا سمع الغِرُّ منهم هذه الأسئلة ورجع إليهم في تأويلها قالوا له: علمُهَا عند إمامنا وعند المأذون له في كشف أسرارنا، فإذا تقرر عند الغِرِّ أن إمامهم أو ما دونه هو العالم بتأويله اعتقد أن المراد بضواهر القرآن والسنّة غيرُ ظاهرها، فأخرجوه بهذه الحيلة عن العمل بأحكام الشريعة، فإذا اعتاد تركَ العبادة واستحلَّ المحرمات كشفوا له القناع، وقالوا له: لو كان لنا إلَهٌ قديمٌ غنيٌّ عن كل شيء لم يكن له فائدة في ركوع العباد وسجودهم، ولا في طَوَافهم حول بيت من حجر، ولا في سَعْيٍ بين جبلين، فإذا قبل منهم ذلك فقد انسلخ عن توحيد ربه، وصار جاحداً له زنديقاً.

قال عبد القاهر: والكلامُ عليهم في مسائلهم التي يسألون عنها قصدهم إلى تشكيك الأغمار في أصول الدين من وجهين:

أحدهما: أن يقال لهم: إنكم لا تَخْلُونَ من أحد أمرين: إما أن تُقِرُّوا بحدوث العالم وتثبتوا له صانعاً قديماً عالماً حكيماً يكون له تكليف عباده ما شاء كيف شاء، وإما أن تنكروا ذلك وتقولوا بقدم العالم ونَفْي الصانع، فإن اعتقدتم قدمَ العالم ونَفْيَ الصانع فلا معنى لقولكم: لم فرض اللَّه كذا، ولم حرم كذا، ولم خلق كذا، ولم جعل كذا على مقدار كذا؟ إذا لم تقرُّوا بإلَهٍ فَرَضَ شيئاً أو حَرَّمه أو خلَق شيئاً أو قدَّره، ويصير الكلام بيننا وبينكم كالكلام بيننا وبين الدهرية في حدوث العالم، وإن أقررتم بحدوث العالم وتوحيد صانعه وأجزْتُمْ له تكليفَ عباده ما شاء من الأعمال كان جواز ذلك جواباً لكم عن قولكم: لم فرض، ولم حرم كذا، لإقراركم بجواز ذلك منه إن أقررتم به وبجواز تكليفه، وكذلك سؤالهم عن خاصية المحسوسات يبطل إن أقروا بصانع أحْدَثَها، وإن أنكروا الصانع فلا معنى لقولهم، لم خلق اللَّه ذلك؟ مع إنكارهم أن يكون لذلك صانع قديم.

والوجه الثاني: من الكلام عليهم فيما سألوا عنه من عجائب خَلْقِ الحيوان أن

يقال لهم: كيف يكون زعماء الباطنية مخصوصين بمعرفة علل ذلك، وقد ذكرته الأطباء والفلاسفة في كتبهم، وصَنَّفَ أرسطاطاليس في طبائع الحيوان كتاباً؟ وما ذكرت الفلاسفة من هذا النوع شيئاً إلا مسروقاً من حكماء العرب الذين كانوا قبل زمان الفلاسفة، من العرب القَحْطَانية، والجُرْهُمِيَّة، والطَّسْمِية وسائر الأصناف الحميرية، وقد ذكر العربُ في أشعارها وأمثالها جميع طبائع الحيوان، ولم يكن في زمانها باطنيٌّ ولا زعيم للباطنية، وإنما أخذ أرسطاطاليس الفرق بين ما يلد وما يبيض من قول العرب في أمثالها: كل شَرْقَاء[1] ولود، وكل صَكَّاء[2] بَيُوض، ولهذا كان الخفاش من الطير ولوداً لا بيوضاً، لأن لها أذناً شرقاء، وكل ذات أذن صكاء بَيُوض كالحية والضب والطيور البائضة.

وذكر أبو عبيدة مَعْمَر بن المُثَنى وعبد الملك بن قُرَيْب الأصمعي أن العرب قالت بتجريبها في الجاهلية: إن كل حيوان لعينيه أهدابٌ على الجفن الأعلى دون الأسفل إلا الإنسان فإن أهدابه على الجفن الأعلى والأسفل، وقالوا: كل حيوان ألقي في الماء يسبح فيه إلا الإنسان، والقرد، والفرس الأعسر، فإنه يغرق فيه، إلا أن يتعلم الإنسان السباحة.

وقالوا في الإنسان: إنه إذا قُطِع رأسُه وألقي في الماء انتصب قائماً في وسط الماء. وقالوا: كل طائر كفه في رجليه، وكف الإنسان والقرد في اليد، وكل ذي أربع ركبته في يده، وركبتا الإنسان في رجليه، وقالوا: ليس للفرس غُدَد ولا كرش ولا طحال ولا كعب، وليس للبعير مَرَارة، وليس للظليم مخ، وكذلك طير الماء وحيتان البحر ليس لها أَلْسُن ولا أدمغة، وقد يكون حوتُ النهر ذا لسان ودماغ، وقالوا: إن السموك كلها لا رئة لها كذلك ولا تتنفس، وقالت العرب من تجاربها: إن الضأن تضع في السنة مرة وتفرد ولا تُتْئِم، والماعز تضع في السنة مرتين، وتضع

(١) يقال: شرقت الشاة شرقاً، من باب تعب إذا كانت مشقوقة الأذن باثنتين فهي شرقاء. (انظر المصباح المنير ص ٣١١).

(٢) الصكك: أن تصطك الركبتان، وهو مصدر من باب تعب، فالذكر أصك والأنثى صكاء. (انظر المصباح المنير ص ٣٤٤).

الواحدة والاثنتين والثلاثة والعدد، والنماء والبركة في الضأن أكثر منها في الماعز، وقالوا أيضاً: إذا رعت الضأنُ نبتاً نبت، ولا ينبت ما يأكله الماعز؛ لأن الضأن تقرضه بأسنانها، والماعز تقلعه من أصله، وقالوا: إن الماعز إذا حملت أنزلت اللبن في أول الحمل إلى الضرع، والضأن لا تنزل اللبن إلا عند الولادة، وقالوا: إن أصوات الذكور من كل جنس أجْهَرُ من أصوات الإناث، إلا المَعْزَى، فإن أصوات إناثها أجْهَرُ من أصوات ذكورها.

ومن أمثال العرب في الحيوان قولهم: كلُّ ثَوْر أفْطَس، وكل بعير أعْلَم، وكل ذي ناب أفرج، وقالوا بالتجربة: إن الأسد لا يأكل شيئاً حامضاً، ولا يدنو من النار، ولا يدنو من الحامل، وقالوا: إن حَمْلَ الكلب ستون يوماً، فإن وضعت حملها لأقل من ذلك لم تكد أولادها تعيش، وقالوا: إن إناث الكلاب يَحِضْنَ لسبعة أشهر، ثم إن الكلبة تحيض في كل سبعة أيام، وعلامة حيضها وَرَم أثفارها، وقالوا في الكلب: إنه لا يلقى من أسنانه شيئاً إلا الثامن، وقالوا في الذئب: إنه يَنَامُ بإحْدَى عينيه ويحترس بالأخرى، ولذلك قال فيه حُمَيْد بن ثور:

يَنَـامُ بـإحْـدَى مُقلَتَيْـهِ، وَيَتَّقِـي ... بـأخْرَى الْمَنَايَا فَهْوَ يَقْظَانُ نَـائـمُ

والأرنب تَنَامُ مفتوحة العينين، قالوا: ليس في الحيوان ما لسانُه مقلوبُ إلا الفيل، وليس في ذوات الأربع ما ثَدْيُه على صدره إلا الفيل، وقالوا: إن الفيل تضع لسبع سنين، والحمار لسنة، والبقرة في ذلك كالمرأة، وقالوا في قضيب الأرنب والثعلب: إنه عَظْم، وقالوا: كل ذي رجلين إذا انكسرت إحداهما قام على الأخرى وعَرِجَ إلا الظليم، فإنه إذا انكسرت إحدى رجليه جَثَم في مكانه، ولهذا قال الشاعر في نفسه وأخيه:

فَـإنِّـي وإيَّـاهُ كـرِجْلَـيْ نَعَـامَـةٍ ... عَلَى مَا بِنَا مِن ذِي غِنًى أوْ لِذِي فَقْرِ

يريد أنه لا غِنَى لأحدهما عن صاحبه، وقالوا في النعامة: إنها تبيض من ثلاثين بيضة إلى أربعين، لكنها تخرج ثلاثين منها تحضن عليها كخيط ممدود على

الاستواء، وربما تركت بَيْضَهَا وحَضَنَتْ بيضَ غيرها، ولهذا قال فيها ابن هَرْمَةَ:

كَتَارِكَةٍ بَيْضَهَا بِالْعَرَاءِ وَمُلْبِسَةٍ بَيْضَ أُخْرَى جَنَاحَا

وقالوا في الفرخ والفروج: إنهما يُخْلَقان من البياض، والصُّفْرة غذاؤهما، وقالوا في القَطَا: إنها لا تَضَعُ إلا فرداً، وفي العُقَاب: إنها تضع ثلاث بيضات فتخرج بيضتين وتطرح واحدة، فيخرجها الطير المعروف بكاسي العظام، ولهذا قيل في المثل: (أَبَرُّ من كَاسِي العظام)، وقالوا في الضب[1]: إنها تضع سبعين بيضة، ولكنها تأكل ما خَرَجَ من الحُسُولَة عن البيض، إلا الحِسْل الذي يَعْدُو ويهرب منها، ولهذا قالوا في المثل: (أعَقُّ من ضَبٍّ)، والضب لا يرد الماء، ولهذا قالوا في المثل: أَرْوَى مِنْ ضَبٍّ، وقالوا في الضب: إنه ذو ذكرين، وللأنثى من الضِّبَاب فرجان من قبل، وقالوا في الحية: لها لسانان، ولسانُهَا أسود على اختلاف ألوان قشرها، والحيات كلها تكره ريح السَّذَاب والبنفسج، وتعجب بريح التفاح، والبطيخ، والجزر، والخردل، واللبن، والخمر، وقالوا في الضفادع: إنها لا تصيح إلا وفي أفواهها الماء، ولا تصيح في دِجْلَةَ بحال، وإن صاحت في الفُرَات وسائر الأنهار، وقال الشاعر في الضِّفْدَعِ:

يُدْخِلُ فِي الأَشْدَاقِ مَا يُنَقِّفُهْ حَتَّى يَنِقَّ والنقيقُ يُلْفِتُهْ

يعني أن نقيقها يدل عليها الحية فتصيدها فتأكلها، وقالوا: إن الضفادع لا عظام لها، وقالوا في الجُعَلِ[2]: إنه إذا دُفِنَ في الوَرْد سكن كالميت، فإذا أعيد إلى الرَّوْثِ تحرك.

فهذا وما جَرَى مَجْراه من خَوَاصِّ الحيوانات وغيرها قد عرفته العربُ في

(١) الضب: دابة تشبه الحرذون وهي أنواع، فمنها ما هو على قدر الحرذون ومنها ما هو أكبر منها، ومنها دون العنز وهو أعظمها. (انظر المصباح المنير ص ٣٥٧).

(٢) الجُعَل: وزان عمر، الحرباء وهي ذكر أم حبين، وجمعه جعلان، مثل صرد وصردان. (انظر المصباح المنير ص ١٠٣).

جاهليتها بالتجارب، من غير رجوع منها إلى زعماء الباطنية، بل عَرَفُوها قبلَ وجودِ الباطنية في الدنيا بأحقاب كثيرة، وفي هذا بيانُ كذِبِ الباطنية في دَعْوَاها أن زُعَمَاءها مخصوصون بمعرفة أسرار الأشياء وخواصها، وقد بيَّنَّا خروجَهُم عن جميع فِرَقِ الإسلام بما فيه كفاية، والحمد للَّه على ذلك.